قطاع الأدوية في تونس أين الخلل؟

ليدرز Leaders العربية

العدد 43 • السعر : 2،5 د.ت • جويلية 2019

العميد الجديد إبراهيم بودربالة

المثابر المتوّج

رشيد خشانة
مُدونة سلوك لمحاسبة المسؤولين عن التلوث الأخلاقي

محمّد ابراهيم الحصايري
اليمن والحرب العبثية التي لا تريد أن تضع أوزارها

د.عادل بن يوسف
كيف ألغيت الملكية وأعلن النظام الجمهوري في تونس؟

الافتتاحيّة

• بقلم عبد الحفيظ الهرقام

ليبيا: كارثة إنسانية على حدودنا الجنوبية

أبشع ما في الحروب، فضلا عن إراقة الدماء وانتشار الخراب والدمار، ما تتسبّب فيه من كوارث إنسانية تستنكرها الضمائر وتتفجّع لها القلوب. من زاوية أبعادها المأساوية تطلّ علينا الحرب المستعرة في الجارة ليبيا بفظاعاتها وأهوالها: قصف عشوائي للمدنيين العزّل واستخدامهم أحيانا دروعا بشريّة في ساحات القتال وإعدامات خارج إطار القانون وعمليات اختطاف للحصول على الفدية واعتقالات تعسُّفية في السجون في ظروف مزرية حيث يقبع ليبيون وأجانب بصورة غير قانونية -والبعض من هذه السجون تحوّل إلى حاضنات للفكر المتطرّف والجماعات الإرهابيّة - واعتداءات على العاملين في القطاع الطبّي في مستشفيات أثقل كاهلها عدد الضحايا الهائل ونيل صارخ من كرامة الإنسان وحرمته الجسديّة ذهب حسب بعض التقارير إلى حدّ الاتّجار بالبشر وإجبار مهاجرين على السّخرة في انتهاك خطير للقانون الإنساني الدولي، علاوة على تردّي الأوضاع الصحيّة في عدد من مراكز إيواء اللاجئين حيث تنتشر الأمراض المعدية ومنها مرض السلّ ويموت فيها من يموت جرّاء سوء المعاملة ونقص الرعاية.

وكان أحد هذه المراكز ليلة 2 جويلية الجاري عرضة لغارة جويّة نسبتها حكومة الوفاق الوطني برئاسة فايز السرّاج إلى قوّات المشير خليفة حفتر التي تحاصر طرابلس منذ أفريل الماضي حيث أودت الغارة التي شُنّت على مركز تاجوراء في الضاحية الشرقية للعاصمة بحياة أكثر من أربعين شخصا وأدّت إلى إصـــابة ما يزيد عن 130 آخرين بجروح بالغة. وهي المرّة الثانية التي يقصف فيها مركز إيواء يحتجز فيه قرابة 600 مهاجر.

وقد وصف الممثّل الخاص للأمين العام، رئيس بعثة الأمم المتّحدة غسّان سلامة هذه الغارة بـ«العمل الجبان» الذي «يرقى بوضوح إلى مستوى جريمة حرب، داعيا «المجتمع الدولي إلى إدانة هذه الجريمة وإلى تطبيق العقوبات الملائمة على من أمر ونفّذ وسلّح هذه العملية».

ومع استمرار «معركة طرابلس» التي خلّفت 700 قتيل و400 جريح وتسبّبت في نزوح قرابة 100 ألف شخص من بيوتهم ، معظمهم من الأطفال والنساء ، تفاقمت معاناة المواطن الليبي وازدادت أوضاعه المعيشية سوءا إذ بدأت المواد تشحّ وخصوصا الوقود نظرا للانفلات الأمني وزيادة الطلب عليها من جانب الأطراف المتنازعة وأخذت أسعار الأغذية في الارتفاع في عموم البلاد، علاوة على الأضرار التي لحقت شبكة التيار الكهربائي والنقص الحاصل في المياه مقارنة بالطلب عليها إذ أصبحت تستخدم في العاصمة والمنطقة الشمالية الغربية بأسرها سلاحا لإجبار الطرف المقابل على التنازل بعد أن قامت المجموعات المسلّحة بقطع الإمداد عن النهر الصناعي، ممّا يعرّض عشرات الآلاف من البشر لمخاطر محدقة، حسب البعثة الأممية.

ولأنّ المآسي غالبا ما تتناسل، فقد أصبحنا نعيش بسب تدهور الأوضاع الأمنية في ليبيا مأساة تصاعد موجة الهجرة السريّة المنطلقة من سواحل هذا البلد نحو مالطا وإيطاليا ومعها تزايد عدد الغرقى من بين الطامحين إلى حياة أفضل في بلدان الضفّة الشمالية للمتوسّط ممّا حدا بالناطق الرسمي باسم المفوضيّة السامية للاجئين إلى دقّ ناقوس الخطر في الأيّام الأخيرة إذ قال نقلا عن صحيفة The Guardian: «إذا لم نتدخّل سريعا فإنّ البحر الأبيض المتوسّط سيتحوّل إلى بحر دم». وحسب المفوضيّة فإنّ غرق المهاجرين بلغ حدًّا غير مسبوق جرّاء نقص قوارب النجدة والنزاع المسلّح في ليبيا.

وتفيد بيانات المفوضيّة السامية للاجئين والمنظمة الدولية للهجرة أنّ 1940 شخصا قادمين من شمال أفريقا وصلوا إلى إيطاليا منذ بداية سنة 2019 وأنّ قرابة 350 شخصا توفّوا أثناء عبورهم المتوسّط في حين أكّدت دراسة قام بها معهد الدراسات العليا السياسية الدولية بإيطاليا استنادا إلى أرقام وزارة الداخلية أنّ مهاجرا على ثمانية توفّي غرقا في المتوسّط من جانفي إلى أفـــريل 2019. ولا شكّ أنّ ما زاد الطين بلّة الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الدول الأوروبية لإحكام غلق حدودها أمام المهاجرين إذ يبدو أنّه لم يعد يهمُّها كثيرا أن يلقى مهاجرون حتفهم في البحر. إنّه لموقف غريب يتعارض مع القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية ، لازمت إزاءه المجموعة الدولية صمتا رهيبا محيّرا. فبدل مساعدة الدول النامية على النهوض باقتصادياتها بما يحول دون لجوء مواطنيها إلى الهجرة غير النظامية آثرت بلدان الشمال الاستمرار في سياساتها الحمائية المتشدّدة، معوّلة على بلدان الشمال الأفريقي ليكونوا حرّاس سواحلها، وكأنّ أمنها لا يتوقّف أيضا على رخاء الدول الأخرى اقتصاديا واجتماعيا.

وبالتوازي مع سهرها على حماية الحدود البريّة والبحرية والتصدّي للهجرة السريّة لم تتأخّر وحدات الجيش والحرس الوطني في إسعاف المهاجرين ونجدتهم كلّما حصل حادث غرق قارب من القوارب وكذلك في انتشال جثث الغرقى إيمانا منها بواجبها الإنساني، رغم ما يمثّله ذلك من عبء إضافي لتونس التي تعيش ظروفا اقتصادية واجتماعية صعبة وتواجه تحديات أمنية في علاقة بحربها على الإرهاب. إنّ هذه الكارثة الإنسانية على حدود تونس الجنوبية ستتعاظم ما لم تبادر مختلف أطراف النزاع في ليبيا إلى الجلوس إلى مائدة الحوار لإيجاد تسوية للأزمة بعيدا عن منطق القوّة وما لم تكفّ قوى إقليمية ودولية عن التدخّل في الشأن الليبي وتقلع عن سياساتها الأنانية التي تغلّب مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية على مصير هذا البلد وشعبه وعلى الأمن والاستقرار في المنطقة..

ع.ه

الفهرس

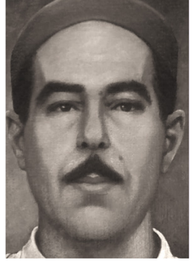

الافتتاحيّة

• **ليبيا : كـارثـة إنسـانية على حدودنا الجنوبيـة** 1
عبد الحفيظ الهرقـام

شؤون وطنيّة

• **مُـدونة سلـوك لـمحاسـبـة المسؤولين عن التلوث الأخلاقي** 8
رشيد خشانة

• **العميد الجديد إبراهيم بودربالة: المثابر المتوّج** 10
عبد الحفيظ الهرقـام

• **في هشاشة النّموذج الديمقراطي التّونسي** 12
حنّان الأندلسي

• **الدبلوماسيّة الثقافية: ماذا ولماذا؟** 14
عبد العزيز قاسم

• **الهواريّة: الدرّة المعلّقة بين البحر والسّماء** 19
محمّد الزّايس التّوكابري

• **قطاع الأدوية في تونس: أين الخلل؟** 25
خالد الشابي

رأي

• **المهاجـرون من تونس: وِزْر المـكان وفتـنـة الزمـان الجـديـد** 34
د. احميدة النّيفر

مجتمع

• **عن الإخفاق المدرسي** 36
منجي الرّيدي

• **يوميّات مواطن عيّاش: ... كيف ما قال أولاد أحـمـد!** 38
عادل الأحمر

شؤون عربيّة

• **اليـمـن والـحـرب العبثـيـة التـي لا تـريـد أن تضـع أوزارهـا** 44
محمّد إبراهيم الحصايري

شؤون دوليّة

• **صـعـود اليـمـن المـتـطـرّف : خطـر داهـم وانعكاسات سلبيّة على سياسات الاتحاد الأوروبي ومصـالـح جنـوب المتـوسط** 46
محمّد لسيـر

من التّاريخ

• **كيـف ألغيـت الملكيـة وأعـلـن النظام الجمهوري في تـونس؟** 51
د. عادل بن يوسف

أعلام تونسيّون

• **علي الدّوعاجي (1909 - 1949) الفـنـّان السّاخـر والقـصّاص البـارع** 62
د. الحبيب الدريدي

ثقافة وفنون

• **قصص من التراث : كيـف كان أهل الحـجاز يتعاملون قديما مع النـسـاء؟** 65
محمّد إبراهيم الحصايري

• **عن الطاهر البكري وكتابة الذات بلغة الآخر الكتابة**
يد الحبّ في وجه الطغيان 67
عامر بوعزة

• **المسرح في المهرجانات الصّيـفـيّـة: حضـور بالغـيـاب** 70
فوزيّة بالحاج المزّي

• **«سامحني» مقاربة سينمائية تبحث في فلسفة الموت وتحاكي نبض الحياة** 72
د. ناظم الوسلاتي

إصدارات

• **ولادات السّيـاسة الحديثـة** 74

بطاقة

• **طـوم وجيـري** 76
الصحبي الوهايبي

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

ليدرز LEADERS
مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير
احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر • عادل كمّون• عـادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية • عـبـد الدايم الصماري • خالد الشّابي • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحـمـد الشـارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صـــور
ليـدرز، محمّد الحامّي، حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
ساماكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم، صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس، الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71
www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

الاستحقاقات الدبلوماسية القادمة في ندوة السفراء والقناصل العامّين

تلتئم الندوة السنوية لرؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية يومي 29 و30 جويلية الجاري لتتناول بالدرس والتمحيص السبل الكفيلة بتجسيم خطّة عمل الدبلوماسية التونسية في ضوء انتخابها يوم 7 جوان الماضي عضوا غير دائم بمجلس الأمن عن منطقة شمال إفريقيا لفترة مدّتها ثلاث سنوات (2020 - 2022) بما يشبه إجماع المجمـــوعة الدولية (191 صوّتوا من مجموع 193 صوتا) حيث أكّدت تونس التزامها بالسعي على غرار ولاياتها السابقة إلى دعم العمل الجماعي من أجل تعزيز السلم والأمن الدّوليين وتحقيق الرّفاه والتنمية المستدامة لشعوب العالم وبناء جسور الثقة والحوار والتضامن والتعاون بين جميع الدول الأعضاء، فضلا عن حرصها على أن تكون الصوت العربي والإفريقي من خلال الدفاع عن المواقف الموحّدة المتخذة بشأن مختلف المسائل العربية والإفريقية المطروحة على مجلس الأمن، وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية العادلة. كما التزمت تونس بأنّها ستدفع باتجاه إيجاد حلول سلمية عادلة ودائمة لمختلف القضايا الدولية العالقة الأخرى، وفقا لمقتضيات الشرعية الدولية والقانون الدولي، معتبرة ضمن أولويّاتها الرئيسيّة بمجلس الأمن منع نشوب النزاعات وتعزيز التزام المجلس بإيجاد تسويات سلمية للنزاعات القائمة والنهوض بمشاركة المرأة والشباب في هذه الجهود، بالإضافة إلى مواصلة دفع دور الأمم المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب والتطرّف العنيف وتعزيز فعالية عمليات حفظ السلام والتعاون من أجل التنمية ودعم الاستجابة الجماعية والتوافقية للتحديات العالمية الجديدة.

كما تنظر الندوة في تحرّك تونس عربيّا بعد ترؤّسها مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمّة إثر احتضان دورتها العشرين في موفّى مارس الماضي وذلك من خلال إسهامها في توطيد العمل العربي المشترك ومعالجة الأوضاع المتأزّمة في عدد من الدول العربية ونصرة القضية الفلسطينية، فضلا عن الإعداد الجيّد للدورة الثامنة عشرة للقمّة الفرنكوفونية التي تستضيفها تونس لاوّل مرّة في تاريخها في سنة 2020. وستسبق الندوة ندوة الشؤون القنصلية وندوة التعاون متعدّد الأطراف وندوات إقليمية (العالم العربي، إفريقيا، أوروبا، آسيا، وأمريكا) يتمّ خلالها تعميق النظر في الطرق الكفيلة بمزيد رعاية شؤون الجالية التونسية بالخارج وتفعيل دور تونس في إطار المنظّمات الإقليمية والدولية وتقييم مسيرة علاقات تونس مع مختلف البلدان والبحث في سبل مزيد دعما..

الجهيناوي قريبا في البرتغال

يؤدي وزير الشؤون الخارجية خميّس الجهيناوي زيارة رسمية للشبونة يومي 21 و22 جويلية الجاري بدعوة من نظيره البرتغالي أوغوستو إرنستو سانتوس سيلفا. ومن المنتظر أن تتناول المحادثات بين الوزيرين دعم الشراكة على المستوى الثنائي وعلى المستوى المتعدّد الأطراف في إطار الاتحاد الأوروبي، فضلا عن القضايا ذات الاهتمام المشترك ولا سيّما تعزيز التعاون والتشاور بين دول مجموعة الحوار 5+5 التي ينتمي إليها البلدان وتطوّرات الأوضاع في ليبيا والوضع في الشرق الأوسط والسبل الكفيلة بمزيد تنسيق الجهود الإقليمية والدولية لمكافحة الإرهاب.

والجدير بالملاحظة أنّ العلاقات التونسية البرتغالية قد شهدت تطوّرا ملحوظا إثر إبرام معاهدة صداقة وتعاون وحسن جوار في 17 جوان 2003. ومنذ ذلك التاريخ تكثّفت زيارات كبار المسؤولين في البلدين، فقد زار وزير الخارجية البرتغالية تونس في 24 فيفري 2016 وعقد الجانبان أربعة لقاءات في أعلى مستوى حكومي كان آخرها في 20 نوفمبر 2017. وقد تمّ خلال اللقاء الأخير التوقيع على أربع اتفاقيات في مجالات الحماية المدنيّة والنقل والتعليم العالي والتشغيل والتكوين المهني.

كما انتظم على هامشه منتدى للأعمال شارك فيه عدد من الفاعلين الاقتصاديين في البلدين بهدف تنمية المبادلات التجارية الذي ظلّ حجمها دون المستوى المؤمول (682,8 مليون دينار في سنة 2018) ودفع حركة الاستثمار في الاتجاهين. ويعتبر البرتغال سادس مستثمر في تونس .فهو السابع من حيث حجم الاستثمار والخامس من حيث عدد المؤسسات المنتصبة في البلاد (46 مؤسسة) والتي تنشط بالخصوص في مجالات مواد البناء ولا سيّما الإسمنت والنسيج والملابس الجاهزة.

ويبلغ حجم استثماراتها المباشرة 816,286 مليون دينار ومكّنت من إحداث 2931 موطن شغل. ومن ناحية أخرى، تعدّ مجموعة اللومي المتخصّصة في صناعة الكوابل من أبرز المؤسسات الناشطة في البرتغال منذ سنة 1993 واختيرت في سنة 2012 ثاني أفضل مؤسسة أجنبية في البرتغال وحصلت على جائزة التميّز والتجديد. وقد دشّنت مجموعة اللومي في سنة 2014 مركزا للتجديد التكنولوجي بغواردا (وسط البرتغال) بحضور الرئيس البرتغالي ووزير الصناعة التونسي.

اعتماد دورة رئيسية واحدة للتوجيه الجامعي بداية من يوم 22 جويلية

من بين الإجراءات التي اتخذتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هذه السنة والمندرجة في إطار استراتيجية إصلاح وتجديد منظومة التعليم العالي اعتماد دورة رئيسية واحدة للتوجيه الجامعي تنطلق بداية من 22 جويلية 2019، يشارك فيها جميع الناجحين بالدورتين (الرئيسية والمراقبة) على حدّ السواء ويتعيّن فيها على كلّ مترشح اختيار 06 شعب كحد أدنى.

وفي الإطار نفسه شرعت مصالح الوزارة ولأوّل مرة، في تمكين جميع الناجحين الجدد من الحصول على كلمة العبور الخاصة بهم عن طريق الإرساليات القصيرة أو عبر تطبيقة الواب، كما بادرت، دعما لخيار لامركزية الخدمات وتعميم الفائدة على عموم الطلبة وبالتنسيق مع مصالح وزارة التربية، بضبط روزنامة مواعيد لتنظيم منتديات وطنية للتوجيه والمهن للتعريف بمختلف المسالك الدراسية وترشيد الاختيارات للموجَّهين، تقام خلال شهر جويلية الحالي، على مستوى ثلاثة أقاليم بالشمال والوسط والجنوب، انعقدت الأولى يومي 15 و 16 من هذا الشهر بقصر العلوم بالمنستير؛ وتنعقد الثانية أيام 18 و 19 و 20 بمدينة العلوم بتونس؛ والثالثة يومي 22 و 23 جويلية 2019 بالمعهد العالي للغات بقابس.

من قرطاج إلى واشنطن

أكّد سفير الولايات المتحدة السابق بتونس غوردن غراي (2009-2012) ضرورة أن تزيد بلاده في دعمها لتونس سياسيا وأمنيا وأن تطوّر تعاونها الاقتصادي معها لا سيّما من خلال اتفاق للتبادل الحرّ بين الطرفين.

واعتبر في مقال رأي نشره في صحيفة «ذو ناشيونال انترست» أنّ «على وزير الخارجية بومبيو الإعلان أنّ الرئيس ترامب سيدعو الرئيس التونسي الجديد المنتخب إلى واشنطن في بداية سنة 2020. وبذلك يوجّه رسالة هامّة ليس فقط إلى تونس بل وأيضا إلى شعوب شمال إفريقيا والشرق الأوسط وإلى شعوب في مناطق أخرى عن ثقة الولايات المتحدة في المسار الديمقراطي»..

وحيد إبراهيم ذلك المبدع الذي فقدته السياحة التونسية

خلّف رحيل وحيد ابراهيم المدير العام السابق للديوان الوطني التونسي للسياحة يوم 3 جويلية الجاري شعورا عميقا بالأسي والحسرة لدى أسرة السياحة التونسية ومهنيّيها وكذلك لدى كلّ أحبابه وأصدقائه، لما تميّز به الفقيد من كفاءة وتفان وفكر مجدّد خلال مسيرته المهنية التي امتدت أكثر من ثلاثين عاما، ممثّلا للديوان في سويسرا وألمانيا وإسبانيا قبل أن يتولّى إدارته العامة.

وعلاوة على خصاله المهنية، عرف الفقيد بتعلّقه الشديد بمسقط رأسه الهوارية وبطيب المعشر وبحذقه للسان الفرنسي فجاءت كتاباته حاملة بصمة الإبداع لفظا وأسلوبا، لا تخلو أحيانا من نزعة إلى الدعابة والتلاعب بالكلمات.

نعاه وزير السياحة والصناعات التقليدية روني الطرابلسي بقوله : «لقد رحل عميدنا المبدع والمفكر وحيد ابراهيم على حين غفلة ومضى في طريق الصمت، لكن ذكراه ستبقى خالدة بيننا وصوته سيبقى عاليا وأعماله ستظلّ خالدة».

وأضاف : «وقد كانت للفقيد عديد المؤلفات حول قطاع السياحة ساهمت في توضيح الرؤية في هذا القطاع الذي يمثّل ركيزة أساسية للاقتصاد الوطني ونحن بصدد الاستئناس بها واقتباس عديد التوجهات الاستراتيجية الهادفة إلى تطوير القطاع السياحي ببلادنا».

أمّا منير بن ميلاد الرئيس السابق للجامعة التونسية للنزل فقد أشاد في شهادة مؤثّرة بوطنيته وخاصّة بخياله الخلاق، مذكّرا في هذا الصدد باهتدائه إلى حلّ طريف أمام تعذّر وجود فضاء شاغر ببرشلونة لإقامة حفل عشاء، في أكتوبر 1991، على شرف أصحاب وكالات الأسفار الألمانية سنة قبل عقد مؤتمرهم في تونس، حسبما جرت به العادة، حيث استأجر باخرة «الحبيب» من الشركة التونسية للملاحة التي حوّلها إلى مدينة عائمة أمكن بفضلها تقديم الأكلات التونسية وعروض للفنون الشعبية والصناعات التقليدية، ممّا أعطى أبهى صورة عن السياحة التونسية، وكانت النتيجة أن بلغ عدد السيّاح الألمان خلال موسم 1992 مليونا ومائة ألف سائح بمعدّل 11 ليلة مقضّاة للسائح الواحد، وهو رقم قياسي لا يزال مهنيّو السياحة يتذكّرونه.

مُدونة سلوك لـمحاسبة المسؤولين عن التلوث الأخلاقي

• بقلم رشيد خشانة

> مُدوَنة السلوك هي مجموع القيم والمبادئ الأخلاقية القابلة للتطبيق في كلّ زمان ومكان، بحسب فلاسفة الأنوار في القرن السابع عشر
>
> **ميشال مافيسولي**

يدور جدلٌ سخنٌ منذ أسابيع في شأن وضع ميثاق أخلاقي لتسييج العمل السياسي، وبشكل خاصّ النشاط الحزبي، في فترة دقيقة مثل الفترة الانتخابية المقبلة. والأكيد أنّ الانزلاقات التي وصلت إلى حدّ التماهي مع صحافة المجاري، أعطت صورة سلبية عن الأحزاب لدى الرأي العام، ونَفّرت الناس من السياسة أصلا، بما ينعكس عزوفا عن الذهاب إلى مراكز الاقتراع، وكُفرا مطلقا بالسياسة والسياسيين. يمكن القول إنّ التفكير في وضع ميثاق أخلاقي يُقيّدُ الأحزاب ويُلجم، أخلاقيا، سائر اللاعبين في الفضاء العام، ظاهرة تطفو على السطح كلّما حمي وطيس المعارك، وتكرّرت زلّات اللسان، وأحيانا إبراز القبضات والعضلات، ممّا جعل حرم مجلس النواب يكاد يتحوّل إلى حلبة ملاكمة. وإذا كانت مواثيق الشرف الانتخابية في عهد النظام السابق تُوضع لكي تُنتهك قبل أن يجفّ حبرُها (مثال انتخابات 2009)، فإنّ الساحة السياسية بحاجة أكيدة اليوم إلى ميثاق يُطبّق بأقصى الحزم والصرامة.

شاهدنا في مجلس النواب كيف تحوّلت سلاطة اللسان إلى برنامج سياسي، كما شاهدنا جلسات مساءلة تتحوّل إلى مُباذأة، وارتفع أحيانا منسوب القذف والتشهير والشتيمة إلى حدّ استوجب تعليق الجلسات أكثر من مرّة. وكان الأمر يقتضي، بعد تكرُّر تلك الانزلاقات، الاتجاه إلى وضع مدوَّنة سلوك مُلزمة. لكن التخويف من تحوّلها إلى قيد دفع إلى التخلي عنها (مؤقتا). لذا فإن بعض المتحفّظين على الفكرة مُحقّون في تحفّظهم، لأنّ المواثيق التي وُضعت لم تُطبق، فقبيل انتخابات المجلس التأسيسي (2011) وقع رؤساء عشرة أحزاب، (بمبادرة من رئيس «الهيأة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي» الأستاذ عياض بن عاشور، على «الميثاق الجمهوري». لكن كثيرا من الموقعين عليه، انتهكوا بنوده قبل الحملة الانتخابية وأثناءها وبعدها، مثلما هو معروف. ولعلّ ذلك ما حمل البعض على المطالبة وقتئذ بعرض مشروع الميثاق على الاستفتاء الشعبي، فيما اقترح آخرون إضفاء «صبغة قانونية» عليه، لكي يلتزم بمبادئه جميع المتنافسين في الانتخابات التأسيسية.

تكرّرت التجربة مجدّدا في 22 أكتوبر 2014، مع وضع «ميثاق شرف الأحزاب والتكتلات والمترشحين المستقلّين من أجل انتخابات نزيهة وشفافة وديمقراطية». ومرّة أخرى، عرف الميثاق الجديد مصيرا غير مختلف عن سلفه. ما من شكّ في أنّ الانزلاقات والزلّات التي ارتُكبت بوعي وتخطيط، تحت قبّة مجلس نواب الشعب (وأمام ذهول أفراد الشعب)، وكذلك العراك المنهجي في الحوارات التلفزية، تفرض كلّها العمل على صوغ وثيقة جديدة ومُحيّنة، تسدُّ هذا الفراغ. وما نحتاج إليه اليوم بالتحديد هو جهاز رقابي ينبع من صلب المُدوّنة أو الميثاق (التسمية ليست مهمّة)، ويرصد أنواع الخروق والانزياحات، ويُرتبُ عليها عقوبات. صحيح أنّ القانون الجزائي وسائر المدوّنات القانونية الأخرى تنصّ على عقوبات في حالة ارتكاب الجرائم التي تُحرّمها مدوّنة السلوك الأخلاقي، غير أنّ ميزة هذه المدوّنة ستأتي في تجميع تلك العقوبات في نصّ موحّد، فمدوّنة السلوك تشكّل حزمة من القيم والمبادئ الأخلاقية الصالحة لكلّ زمان ومكان، لكنّ المُعزّزة بآلية تنفيذية تُسلّط العقاب المناسب على المُنتهكين والمتجاوزين.

ولا ينبغي أن يقتصر مجال عمل المُدوَّنة على إضفاء الطابع الأخلاقي على الحياة الوطنية، من خلال وضع آلية الرقابة فحسب، وإنّما ينبغي أن يشمل أيضا وسائل الإعلام، وخاصّة منها ذات الوزن الثقيل، لتحريم التنابز بالألقاب والسباب والخصومات الشخصية. وهنا يأتي دور«الهيأة العليا للإعلام السمعي البصري»، فالهيئة تنهض بمهمّات معروفة في جميع المناسبات الانتخابية، وهي مُجهَّزة بما يلزم من مُعـدّات تقنية متطوّرة للنهـوض بتلك المهمات، لكـن لا ينبغي أن تبقى قراراتها حبرا على ورق بسبب تقصير الجهاز التنفيذي. وتغدو مسؤولية وسائل الإعلام أكبر وأدق في مثل هذه الظروف الخاصّة، لأنّها تكون بمثابة المربي الجماعي للرأي العام، ولذلك نرى تونسيين، من أعمار مختلفة ومشارب متباينة يعتبرون وسيلة الإعلام، وتحديدا الراديو أو القناة التلفزية، مصدرا أساسيا للمعلومة وقدوة يقتدي بها. وأوّل من انتبه إلى الوظيفة التربوية للإعلام هو الحبيب بورقيبة، الذي كان يتصرّف تصرُّف المُربي في معظم خطبه، وقد كانت فرحته بلا حدود عندما انطلق بثّ التلفزة الوطنية، فقال للتونسيين إنّه أصبح يدخل إلى بيوتهم في كلّ الأوقات. وبقدر أهميّة الإعلام في المحطات الانتخابية، وجب إعطاء الهيأة التعديلية صلاحية المراقبة والمحاسبة، للحدّ من التجاوزات، في انسجام مع القوانين الزجرية.

يكفي أن نراجع مستوى الجدل السياسي في المحطات الانتخابية السابقة، لنُدرك أنّ المضمون الأخلاقي يتراجع القهقرى، من محطّة إلى أخرى، وأنّ كثيرا من اللاعبين باتوا يستسهلون الانفلات من الأخلاق والقانون، مما يستوجب إحداث آلية المراقبة والمحاسبة، لحماية الديمقراطية من العابثين بها.

ر.خ

العميد الجديد إبراهيم بودربالة
المثابر المتوّج

الأستاذ إبراهيم بودربالة الذي انتخب يوم 6 جويلية الجاري عميدا للهيئة الوطنية للمحامين لمدّة ثلاث سنوات (2019 ـ 2022) هو واحد من أبرز وجوه قطاع المحاماة في تونس منذ أن اختار هذه المهنة النبيلة في سنة 1977.

يعتبر في نظر العديد من زملائه وكلّ من واكب مسيرته مدّة ثلاثة عقود ونيّف رمزا «للخط المهني المستقلّ عن أيّ التزام حزبي أو سياسي وحاملا لتجربة مهنية واسعة في هياكل المحاماة التمثيلية».
ولعلّ ما يميّز الأستاذ إبراهيم بودربالة مثابرته على الترشّح لمنصب العمادة طيلة 21 سنة فلم يفتّ إخفاقه في المرّات السابقة في عزمه على إدراك مبتغاه رغبة منه في خدمة هذا القطاع وتكريس استقلاليته إزاء السلطة والتيارات السياسية حتّى كان له في المرّة الثامنة ما أراد إذ انتخب مؤخّرا عميدا للمحامين التونسيين خلفا للأستاذ عامر المحرزي (2016ـ 2019) بعد تنافس مع زميله الأستاذ بوبكر بن ثابت.

يقول

في حديث لمجلّة ليدرز العربية بنبرة مازحة : «في المرّة الثامنة اقتنع قومي بجدارتي بالعمادة والحمد للّه وهي علامة لعودة الوعي لدى زملائي فأنا لم أتخلّ يوما عن مبادئي التي ظللت مؤمنا بها ولا عن قيم المهنة السامية ونأيت بنفسي عن كلّ صراع حزبي».

من باب الفلّة كانت البداية

الأستاذ إبراهيم بودربالة هو الابن الأصغر لأسرة وافرة العدد أصيلة الحامّة من ولاية قابس ولد بنهج سيدي منصور بحيّ باب الفلّة بالعاصمة في 7 أوت 1952. انتقل للسكنى من والديه وأشقائه في سنة 1955 إلى شوشة رادس في الضاحية الجنوبية التي كانت وقتئذ منطقة شبه فلاحية معظم سكّانها من الإيطاليين. درس بالمدرسة الابتدائية بمقرين الرياض ثمّ بمدرسة شوشة رادس حيث نال شهادة ختم الدروس الابتدائية ونجح في مناظرة الدخول للتعليم الثانوي.

التحق بمعهد ابن شرف بالعاصمة وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا في جوان 1972 درس الحقوق بكليّة الحقوق والعلوم الاقتصادية وتحصّل على الإجازة في جوان 1976. وفي السنة نفسها نال شهادة الكفاءة لممارسة مهنة المحاماة ورُسِّم بجدول المحامين المتربّصين في 6 ماي 1977 وأدّى اليمين القانونية بعد ستّة أيّام من ذلك. أمّا التّربّص فقد قضّاه في مكتب الأستاذ الصادق مرزوق ثمّ بمكتب الأستاذ المرحوم محمّد عزّوز.

هل كان الأستاذ إبراهيم بودربالة يطمح منذ بداية طريقه محاميا إلى أن يكون في يوم من الأيّام عميدا للسلك؟ يبدو من خلال النظر في مسيرته أنّه كان قد حدّد لنفسه مراحل للوصول إلى هذه الغاية من خلال اكتساب تجربة في مجال تمثيل المحامين. فقد انتخب في سنة 1979 عضوا بالهيئة المديرة لجمعية المحامين الشبّان ثمّ أعيد انتخابه في سنة 1981وأسندت له خطّة أمين عام الجمعية قبل أن ينتخب رئيسا لها في سنة 1983. وإثر ترسيمه بجدول المحامين المخوّل لهم الترافع أمام محكمة التعقيب في 8 ماي 1987 انتخب عضوا بالهيئة القومية للمحامين وكلّف بخطّة رئيس محاضرات التّربّص وأعيد انتخابه في سنة 1989 بالهيئة نفسها وحافظ على هذه الخطّة طيلة 5 سنوات.

وانتخب في 5 جويلية 1992 رئيسا للفرع الجهوي للمحامين بتونس وأعيد انتخابه في 1995 لعهدة ثانية امتدت إلى سنة 1998 إثرها ظلّ يترشّح لمنصب عميد الهيئة الوطنية للمحامين بدون انقطاع إلى أن حالفه الحظّ في المرّة الثامنة هذه السنة.

الترافع عن طواعية في قضايا سياسية

دفع الالتزام برسالة المحاماة السامية الأستاذ إبراهيم بودربالة إلى الترافع طوعا في قضايا سياسية منها القضية المرفوعة ضدّ قياديّي الاتحاد العام التونسي للشغل إثر إحداث 26 جانفي 1978 ناب فيها عن إسماعيل السحباني والمرحومين حسين بن قدّور وحسن حمّودية وحسن قاقي الذين كانوا، كما قال، يستبشرون كلّما كنّا نزورهم في السجن. كما ترافع في قضية قفصة في جانفي 1980 كما تولّى النيابة عن زملائه المحامين في قضية الاتّجاه الإسلامي في مرّة أولى في سنة 1981 وفي المرّة الثانية في سنة 1987. وكان أيضا ضمن لسان الدفاع عن حمّة الهمامي في عدّة قضايا جابه بسببها القضاء منها قضية بمحكمة قابس. دافع كذلك عن طلبة يساريين وقوميين في قضايا تخصّ حرية الرأي والتظاهر والتنظيم وقد ذكّره الشهيد محمّد البراهمي ذات مرّة أنّه كان أحد محاميه. ومن منطلق واجب التضامن مع الأستاذ أحمد المستيري انضمّ إلى فريق المحامين الذين تولّوا

الدفاع عنه في سنة 1981 على إثر اتهامه السلطة آنذاك بتزوير الانتخابات التشريعية.

خطّة عمل في ثلاثة محاور

وبخصوص ما ينوي القيام به على رأس العمادة أفاد الأستاذ إبراهيم بودربالة أنّه سيحرص على إيلاء الاهتمام اللازم لأوضاع زملائه ولاسيّما حديثي العهد منهم بالمهنة، فضلا عن العناية بعلاقة المحامين بإدارة الجباية حتّى يتمّ إدرَاك التحديّات الكبرى التي يواجهها القطاع في حال توقيع تونس على اتفاق التبادل الحرّ الشامل والمعمّق مع الاتحاد الأوروبي وهو ما يتطلّب الرفع من الأداء المهني للمحامي وتعزيز قدرته على الصمود أمام المزاحمة الأجنبية. أمّا محور العمل الثالث فهو يتمثّل في النهوض بالتكوين المهني والترقية المهنية وتشجيع الاختصاص في ضوء التطوّر السريع الذي تشهده القوانين والتشريعات ممّا يتطلب التعامل مع كلّ المتغيّرات باقتدار وبروح إيجابية.

وكان الرئيس الباجي قايد السبسي قد وجّه إلى الأستاذ إبراهيم بودربالة رسالة تهنئة أشاد فيها بدور قطاع (المحاماة) «عريق عراقة نضال المحامين الذين ألفناهم دوما في ريادة الكفاح الوطني سواء بالأمس في معركة التّحرر الوطني أو في مرحلة بناء الدّولة غداة الاستقلال أو في مواجهة التسلّط، ثمّ الاستبداد، لمّا انخرطوا في النّضال من أجل الحريّة والدّيمقراطية وسيادة القانون أو بعد الثّورة عندما أسهموا بنجاعة في إنجاح مسار الانتقال الدّيمقراطي السّلمي».

وأعرب الرئيس الباجي قايد السبسي عن «دائم الاعتزاز بشرف الانتماء إلى هذه المهنة النّبيلة»، وعن يقينه بأنّ الهيئة ستحافظ على استقلاليّة مهنة المحاماة ونبل رسالتها..

ع .هـ

في هشاشة النموذج الديمقراطي التونسي

ما عاشته تونس في الفترة الأخيرة من أحداث : التصويت على تنقيح القانون الانتخابي قبل مدّة قصيرة من إجراء الانتخابات والجدل حول المحكمة الدستورية إثر الوعكة الصحية لرئيس الجمهورية، كل ذلك يطرح تساؤلات حول مدى هشاشة النموذج الديمقراطي التونسي، وضرورة تحصينه من كل المخاطر المحدقة به.

لا شكّ أنّ ثماني سنوات فترة وجيزة في عمر أيّة ديمقراطية تجعل تقييمها بشكل شامل وموضوعي أمرا صعبا. وتونس التي تحرّرت منذ 2011 من ربقة الدكتاتورية نجحت إلى حدّ الآن في الحفاظ على المسار الديمقراطي عبر تنظيم الاستحقاقات الانتخابية في آجالها المحدّدة، واحترام التعددية الحزبية والتداول على السلطة، ناهيك عن تفادي سيناريو الحرب الأهلية في 2013 والخروج من الأزمة بانتهاج سبيل الحوار. ولكن ذلك لا يجب أن يخفي المشاكل العديدة التي تعاني منها البلاد على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والأمني وحتى السياسي، ممّا يجعل نموذجها الديمقراطي عرضة للخطر الدائم. وما حصل خلال المدة الأخيرة ليس إلاّ دليلا على مدى التحديات التي تواجهها هذه الديمقراطية الناشئة والوحيدة في العالم العربي، وعلى ضرورة التحلّي بالحذر لحمايتها ممّا يتهدّدها.

التداخل بين الجمعياتي والسياسي

أحدث ظهور مبادرات جمعياتية يطمح أصحابها للترشح للانتخابات لقادمة زلزالا في المشهد السياسي في تونس، حيث لم تتعوّد الطبقة السياسية أن تجد لها منافسا من المجال الجمعياتي، يحظى بدعم شعبي كبير قد يؤهله للحصول على مقاعد في البرلمان القادم وحتّى الوصول إلى قصر قرطاج برفع شعار تغيير الأوضاع في البلاد. فنشأة مبادرات مثل «عيش تونسي» لألفة التراس، أو جمعية «خليل تونس» التي اتخذها نبيل القروي ركيزة لبعث حزب سمّاه «قلب تونس» وتوجهها مباشرة إلى الطبقات المحرومة والمهمّشة من الشعب التونسي، بيّنت مدى عدم ثقة الشعب في الطبقة السياسية مقابل ثقته في المجتمع المدني. ولكنّ اللافت للنظر في هاتين المبادرتين أنّهما انطلقتا من رحم العمل الجمعياتي لتتطوّرا نحو العمل السياسي وهو ما خلق جدلا كبيرا لدى الرأي العام حول مدى مشروعية هذا التمشّي. ولا يحب الاستهانة بما حقّقته مثل هذه المبادرات من شعبية، فـ«عيش تونسي» جمعت إلى حدّ الآن 720.000 توقيع على مبادرتها (حسب الأرقام التي صرّحت بها)، في حين أنّ جمعية «خليل تونس»أعلنت على موقعها أنّها قدمت 500.000 خدمة للتونسيين المحتاجين. وقد بيّن سبر الآراء الأخير الذي قامت به وكالة سيغما كونساي في جويلية أنّ حزب «قلب تونس» لنبيل القروي يتصدّر نوايا التصويت في الرئاسية والتشريعية بنسبة 29 % بعيدا عن النهضة بنسبة 15 % والحزب الحر الدستوري لعبير موسي 12% . أمّا «عيش تونسي» فقد تحصّل على 7 % من نوايا التصويت ليتموقع مباشرة بعد حزب «تحيا تونس» (8 %)، حزب رئيس الحكومة يوسف الشاهد.

فلا ينبغي، بالتالي،الاستهانة بوزن هذه الجمعيات، التي عرف مؤسّسوها كيف يستفيدون من الدروس المستخلصة من الانتخابات البلدية والتي كرّست صعود المستقلين القادمين أساسا من المجتمع المدني، على حساب الأحزاب السياسية. يبقى الإشكال هو التحوّل من العمل الخيري إلى العمل السياسي الذي يفضح في طياته عملية تلاعب بالديمقراطية وتحيّل على التونسيين وتوظيف حاجتهم لاستعمالها لأغراض انتخابية.

وعلى قدر غرابة هذه الظاهرة الجديدة في النموذج الديمقراطي التونسي، جاءت ردّة فعل الأحزاب السياسية الحاكمة (تحيا تونس والنهضة ونداء تونس)، حيث سارعت، بعد نشر سبر آراء أثار جدلا كبيرا ووضع نبيل القروي على رأس المرشّحين للفوز بسباق الرئاسية، إلى إدخال تنقيحات على القانون الانتخابي ودفع البرلمان للتصويت عليها. عملية أثارت شكوك العديد من التونسيين حول الغرض الحقيقي من هذه التنقيحات التي اعتمدها مجلس نواب الشعب على عجل بعد التصويت عليها بـ 128 صوتا. فلئن بدت تنمّ في ظاهرها عن حرص على الدفاع عن نزاهة الانتخابات من قبيل اقتراح تعديلات تمنع من الترشّح كلّ من استفاد من الإشهار السياسي أو ثبت قيامه بخطاب لا يحترم النظام الديمقراطي ومبادئ الدستور ويدعو إلى العنف والتباغض بين المواطنين، فإنّها تحمل في طياتها إقصاء للمعارضين السياسيين، وتحديدا «المنافسين الجدد في السباق الانتخابي».

هذه التعديلات التي قبلتها الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية مشاريع القوانين شكلا ورفضتها أصلا، تأتي قبل ثلاثة أشهر من تنظيم الانتخابات وتفضح رغبة في التحكّم في العملية الديمقراطية وتضييق المجال السياسي. وذلك لا يمكن أن يكون علامة صحية بالنسبة إلى النموذج الديمقراطي التونسي. فاللعبة الديمقراطية تفترض أنّ مجال المشاركة في العملية الانتخابية مفتوح لكل مواطن تونسي تتوفّر فيه شروط الترشح لذلك. ولا يمكن أن يتمّ تعديل القانون الانتخابي في تقديرنا في اللحظات الأخيرة ليكون على مقاس جهة سياسية دون أخرى أو يتم استعماله أداة لإقصاء المنافسين.

المحكمة الدستورية دعامة البناء الديمقراطي

في خضمّ هذا الجدل السياسي الذي أثاره تعديل القانون الانتخابي، جاء جدل آخر عمّق الانقسام داخل المشهد السياسي التونسي غداة الانتخابات، وهو انتخاب أعضاء المحكمة الدستورية. فعلى الرغم من البلبلة والخوف اللذين أحدثهما تعكّر الحالة الصحية لرئيس الجمهورية وإشاعة وفاته ممّا جعل الجميع ينتبه إلى أهمية إرساء هذ المحكمة، وضرورة الحسم في الأمر قبل العطلة البرلمانية، تواصل الصراع حول اختيار أعضاء هذه المحكمة من قبل البرلمان، نظرا إلى سعي كلّ جهة سياسية إلى وضع أشخاص يدينون بالولاء لها حيث تجدّد كلّ مرّة سيناريو الانقسامات حول اختيار شخصيات بعينها تساندها جهات سياسية وترفضها أخرى مثل شخصية المحامي والمناضل العياشي الهمامي أو شخصية الحقوقية سناء بن عاشور، وبذلك استمرّت لأشهر عديدة عقلية الإقصاء وتغليب المصالح الحزبية الضيّقة على المصلحة العامة، في تأكيد مرّة أخرى على هشاشة النموذج الديمقراطي التونسي، في حين نصّ الدستور التونسي على ضرورة تركيز المحكمة الدستورية بعد سنة من تنظيم الانتخابات التشريعية في سنة 2014، بالنظر إلى أنّ ترسيخ دعائم الديمقراطية يمرّ أساسا عبر استكمال تأسيس الهيئات الدستورية. والمحكمة هي الجهة القانونية الوحيدة المخوّل لها مراقبة دستورية القوانين وتقرير من يمسك بزمام الحكم في حالة الشغور المؤقّت أو الدائم في منصب رئيس الجمهورية. وهي تتكوّن من 12 عضوا، يُنتخب أربعة منهم من قبل البرلمان ويُعيّن أربعة آخرون من طرف المجلس الأعلى للقضاء ويُعيّن الباقي من قبل رئيس الجمهورية. ويكون التعيين لفترة واحدة مدّة تسع سنوات مع تجديد ثلثي الأعضاء كلّ ثلاث سنوات. ويجب أن يكون ثلاثة أرباع أعضاء المحكمة الدستورية من المختصين في القانون.

تبقى نقطة الضوء الوحيدة في خضمّ هذه الصراعات والانقسامات السياسية، هي النجاح في إنقاذ الاستحقاقات الانتخابية عبر ضمان تنظيمها في آجالها الدستورية، بعد إمضاء رئيس الجمهورية على الأمر الرئاسي المتعلّق بدعوة الناخبين للانتخابات التشريعية والرئاسية.

حنان الأندلسي

• بقلم عبدالعزيز قاسم

الدبلوماسية الثقافية: ماذا ولماذا؟

تحسيسا بأهمية مساحة تكاد تكون غير معروفة من بين مساحات العمل الثقافي، نظّمت الجمعية التونسية لقدماء السفراء والقناصل العامين، يوم السبت 22 جوان المنصرم، بالقصر السعيد للآداب والفنون (باردو) ندوة حول «الدبلوماسية الثقافية» محورها محاضرة للسفير المتقاعد ووزير الثقافة الأسبق الأستاذ صالح البكاري بعنوان: «الدبلوماسية الثقافية إحدى أدوات القوّة الناعمة». وذلك بحضور وزيري الشؤون الخارجية والشؤون الثقافية.

أحبّ هذه الجمعية الأنيقة ولي فيها أكثر من صديق وأشاركهم أحيانا قهوة صباح السبت. وكلّ الأوقات التي أقضيها في صحبتهم إنّما هي لحظات متميزة تختلط فيها السياسة الداخلية والدولية بالأدب والنكتة. وهم يمثّلون الوجه المشرق الآخر للنخب الوطنية. تلقيت بالبريد الإلكتروني دعوة كريمة لحضور هذه الندوة الهامة وسرّني تأكيد هاتفي، من بعض المشرفين، على حضوري وعلى رغبتهم في أن أسهم في النقاش، لما لديّ، في نظرهم، من خبرة غير قصيرة في هذا الميدان.

1

قلت في نفسي: لم لا؟ فأنا لو امتنعت أفقد حقّي في توجيه الملامة للمسؤولين الذين لا يلتفتون لأهل الذكر للاستفادة، على الأقل، من شهادتهم على نجاحات الماضي وخيباته. وقفزت إلى ذهني ذكريات وملاحم وزوابع ومكارم.

لقد كنت من أقرب المعاونين، وبرتبة مدير عام، لما لا يقلّ عن سبعة وزراء ثقافة أذكر منهم الشاذلي القليبي، محمود المسعدي، البشير بن سلامة، زكريا بن مصطفى، الحبيب بو لعراس... أشرفت بالتوالي على قطاعات مفصلية: دُور الثقافة ودور الشعب، المطالعة العمومية، دار الكتب الوطنية بالإضافة إلى المركز الثقافي الدولي بالحمامات، الدار العربية للكتاب، العلاقات الخارجية والتعاون الدولي وهذا المنصب الأخير يؤهلني مباشرة للخوض في شؤون الدبلوماسية الثقافية. هذا فضلا عن إشرافي على مؤسّسة الإذاعة والتلفزة، وقد كانت، إلى جانب مهمتها الإعلامية، هيكلا ثقافيا بامتياز له صلة وثيقة مباشرة بالإبداع وكانت له كذلك علاقاته الدولية الاستراتيجية. وعلاوة على ذلك كلّه فأنا كاتب ثنائي اللسان ذو حضور دولي، لي مؤلفات عدّة في الشعر والأدب المقارن وفي علاقات الشرق والغرب إلى جانب مشاركات كثيرة في ندوات أكاديمية تتعلق بحوار الحضارات...

2

كان برنامج الندوة واعدا وكان الحضور ممّن يتمنّى المحاضر أن يراهم أمامه: ثلّة من القدماء والمباشرين من إطارات الوزارتين يضاف إليهم عدد من دبلوماسيّي المستقبل، طلبة المعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الشؤون الخارجية. وافتتح اللقاء الوزير السفير الأستاذ الطاهر صيود، رئيس جمعية القدماء، مرحّبا ومبشّرا بتتالي الندوات وحلقات النقاش حول مهام الدبلوماسية التونسية العريقة وتبادل الرأي بخصوص نشاطاتها ومن بينها تركيز الحضور الثقافي الوطني بالخارج ثم أحال الكلمة إلى السفير نائب رئيس الجمعية، الأستاذ محمد جنيفان، الذي أوضح أن «الدبلوماسية الثقافية» مصطلح لم يكن جاريا وإن كان «البعد» الثقافي حاضرا في عمل سفاراتنا. ولكن هذا البعد قلّما كان «يدرج ضمن جدول أعمال الندوات السنوية للبعثات الدبلوماسية، سوى في السنة الفارطة».

3

السيد وزير الشؤون الخارجية أعرب في كلمته عن الأهمية الكبرى التي يوليها لهذا الجانب الذي كان شبه مهمش في العمل الدبلوماسي وعن ضرورة اعتماده ضمن أدوات العمل الرامي إلى الدفاع عن مصالح تونس على الصعيد الدولي وإلى مزيد إشعاعها في العالم والسعي إلى «وضع خطة محكمة» للغرض تشترك فيها كل الأطراف المعنية، مشيرا إلى عودة الدبلوماسية التونسية إلى سالف قوّتها وألَقها ممّا يمكن توظيفه لفائدة إشعاع تونس وأعلن أنّ الثقافة ستحتلّ في دروس الأكاديمية الدبلوماسية مكانة مهمّة وأنّها ستساهم في إقامة مثل هذه الندوات وأعلن في هذا السياق عن إحداث إدارة عامّة تعنى بالدبلوماسية الاقتصادية والثقافية والتخطيط الاستراتيجي.

4

ثم أحيلت الكلمة إلى الأستاذ صالح البكاري فألقى محاضرة قيّمة بعنوان «الدبلوماسية الثقافية، إحدى أدوات القوة الناعمة» جدّد فيها النظرة إلى العمل الثقافي على خلفيّة كونه أصبح بالنسبة إلى الأمم والدول إحدى ركائز التأثير المتعاظم بين الأقطار والشعوب بما يعني أنّ الإشعاع الثقافي أضحى ورقة لا يستهان بها على هذا الصعيد. وسطّر المحاضر خطوط السير الواجب انتهاجها وصولا إلى الغاية المرجوة تركيزا لصورة تونس المشرقة وإشادة بدور المثقفين ونجاحاتهم. وتهيّأتُ لمناقشة ما جاء في حديث الصديق صالح البكاري من تعريف بالثقافة وما قدّمه من بسطة تاريخية ومن مقترحات عمل. إلاّ أنّ البرنامج طرأ عليه بعض التغيير...

5

كان المفروض بحسب البرنامج ووفقا لما أعلنه الأستاذ الطاهر صيود في مفتتح الجلسة أن يعقب المحاضرة نقاش على أن يختتم السيد وزير الشؤون الثقافية هذا اللقاء المهمّ بالتعليق والردّ على المتدخّلين والإعلان المفصّل عن استراتيجية وزارته في مجال «الدبلوماسية الثقافية». ولم أفهم لماذا أحيلت إليه الكلمة إثر المحاضرة مباشرة. ربّما لأنّ السيد وزير الشؤون الخارجية مضطرّ للمغادرة فارتأى زميله أن يقول ما يودّ أن يقول بحضوره، شاكرا له تجاوبه واستعداده للتعاون وليطلعه على مسيرة العمل الذي يضطلع به في الوزارة التي يتولّى مقاليدها. وبالفعل أشاد السيد وزير الشؤون الثقافية بالمنجزات العظيمة التي تحقّقت رغم ضعف الميزانية وأطنب وأفاض، ولضيق الوقت بالتأكيد، لم يعلّق على محاضرة الأستاذ صالح البكاري التي تقع في صلب اهتمامات الدبلوماسية الثقافية. كما استهجن السيد الوزير بشدّة قول بعض الأوساط الحكومية بضرورة إسناد وزارة الشؤون الثقافية إلى الجنس اللطيف بدل الجنس الخشن، وكنت أودّ، حتى على سبيل الدعابة، أن أجادله في الأمر ففي اعتقادي أنّ المرأة أصلح بالحكم من الرجل. فالنساء رئيسات حكومات في الغرب وكم راق لي أن تكون امرأة على رأس وزارة الداخلية اللبنانية.

6

وزارة الشؤون الثقافية صغيرة الحجم والميزانية، كبيرة المشاكل، وتستمدّ هيبتها من هيبة المشرف عليها. وهي معرّضة أكثر من أيّ قطاع حكومي آخر إلى ألسنة السوء ولاذع الكلام ينطلق من بعض المقاهي الشهيرة بشارع الحبيب بورقيبة يغشاها الغاضبون المحترفون من مختلف الملل الفنية والنحل الكلامية. وقسم «استفيد» شغّال. وقلّما يخرج منها وزير بكامل ريشه. في العهد البورقيبي، كانت لميزانية الثقافة، على تواضعها، روافد هامّة تتمثّل في الحصول على مساعدات وهبات دولية هامّة: منح دراسية، تجهيزات تقنية، تبادل مكثّف للبرامج والإطارات. كلّ ذلك في إطار «دبلوماسية ثقافية» نشيطة وذكية وبفضل مسؤولين ومسؤولات يجلبون الاحترام لتونس. ثم بدأ المعين يجف في عهد بن علي الذي أفقد تونس الكثير من وهجها ووجاهتها. ثم جاءت الثورة الـ(م)باركة فازدادت الأحوال الثقافية سوءا بل لقد وقع اقتطاع جزء من ميزانية الوزارة لفائدة وزارة الشؤون الدينية أي إلى نقيضها الفكري.

7

وتوقفّت الجلسة لتمكين السيد وزير الشؤون الخارجية من المغادرة. وبعد استراحة تشتّت فيها الأفكار، استؤنفت الأشغال وكان التعب قد استولى على الهمم وغمر النسيان المحاضرة فطُرِحتْ على الوزير←

بضعة أسئلة هامشية رد عليها بما تستحق. أمّا أنا فلذْتُ بالصمت والتأمّل وقد كنت أودّ أن أدغدغ الصديق صالح البكاري حول بعض ما جاء في محاضرته وربّما أفردتها قريبا بمقال خاصّ. كما كنت أريد أن أتحدّث عن ملاحم وزارة الشؤون الثقافية كما عشتها وأسهمت فيها في العهد البورقيبي وما شهدته عن كثب من نسف علاقات التعاون وبرامج التبادل منذ استيلاء الرئيس بن علي على الحكم.

8

على سبيل الذكر لا الحصر تتعيّن الإشارة إلى أنّ وزير الثقافة الصيني نزل سنة 1991 ضيفا على وزارة الشؤون الثقافية على رأس وفد هام من معاونيه وتمّ التوقيع على اتفاق تعاون وتبادل في منتهى الأهمية تضمّن هبة صينية سخيّة تتمثّل في تجهيزات سمعية وبصرية وفي آلات موسيقية تشمل كافة دُور الشعب والثقافة فضلا عن مشاركة أشهر الفرق الصينية في مهرجاناتنا وغير ذلك من برامج التبادل. والجدير بالملاحظة أنّ الصين أكثر شركائنا جودا وأحرصهم على تطبيق الاتفاقات. إلا أنّهم تركوا هذا الاتفاق حبرا على ورق بسبب قرار تعسّفي أرعن اتّخذه بن علي يوم سفر الوفد الصيني بإقالة عدد من مديري وزارة الشؤون الثقافية شملت كلّ المسؤولين الذين أعدّوا الاتفاق الثقافي التونسي الصيني. لم يكن لهذا القرار الانتقامي الغبي أيّة صلة بالموضوع لكنّ الطرف الصيني رأى في ذلك تنكّرًا غير صريح لما اتفق عليه وبلغني أنّهم استنتجوا أنّ بعض القوى الإمبريالية لم تكن راضية عن هذا التقارب التونسي الصيني في مجال مؤثّر وداعم للصداقة.

9

اهتمامي بالدبلوماسية الثقافية بدأ سنة 1967، حيث صدر عن دار نشر باريسية كبرى كتاب بعنوان «أنثولوجيا الأدب العربي، مجلـــد 3، الشعـــر» . تصفّحتُه فلاحظت في الفصل المخصص للشعر التونسي غياب عدد من الشعراء المعـــروفين عنـــدنا حينذاك وإدراج أسماء أخرى ليست في عداد الشعـــراء. وصـــادف أن التقيت بمؤلفَيّ الكتاب فلفتّ نظريهما إلى هذه النّقائص فأجـــابا بأنّهما اجتهدا قدر المستطاع مع قلّة المراجع وأكّدا لي أنّهمـــا اتصلا بالملحق الثقافي بسفارتنا بباريس للحصول على قائمة لأهمّ الشعراء التونسيين فعبّر لهما عن أسفه لعدم وفرة هذه المعلومات عنده وما عليهما إلا التحوّل إلى تونس والاتصال بالجهات المعنية. وقمت تبعا لذلك بحملة تحسيسية باتّجاه وزارة الشؤون الخارجية عن طريق اتحاد الكتاب الذي كنت أحد أعضاء هيئته وممّا ساعد على بلوغ هذه الحملة وجود وزير على رأس الاتحاد هو المرحوم محمد مزالي. واستمرّ التداول بهذا الشأن إلى الثمانينات من القرن الماضي وفيها برزت فكرة ترى أنّ الملحق الثقافي، على غرار الملحق الاجتمـــاعي، ينبغي أن تعيّنه وزارة الشؤون الثقافية من بين أهـــل الاختصاص. لقيت الفكرة استحســـانا، ولأسبـــاب إجرائية وسياسية لم تطبّق. ومهما يكن من أمر توطدت العـــلاقات بين وزارتي الشؤون الخارجية والثقافية. وأذكر أني، طـــوال الفترة التي اضطلعت فيها بمهام الإدارة العامة للعلاقات الخارجية والتعاون الدولي، كنت على صلة مباشرة ومستمرة وعلى غاية الانسجام مع نظراء بوزارة الشؤن الخارجية.

ومهما كان حسن النوايا والاستعداد بين الوزارتين تبقى مسألة في غاية الأهمية ذكرها رئيس الجمعية الأستاذ الطاهر صيود في الختام وبصورة عابرة عندما قال : الملحق أو المستشار الثقـــافي لا يتوفّر دائما في سفاراتنا فتقليص الأعوان، لإكراهات في الميزانية، يطاله قبل غيره مع الأسف... والموضوع ما زال يحتاج إلى أكثر من ندوة.

ع.ق

STA
Société Tunisienne d'Automobiles

Showroom STA Tunis : Z.I Borej Ghorbel - 2096 Ben Arous Tunisie
Showroom STA Sfax : 30 Rue Taib Mhiri, Immeuble 4 Saisons
Tél. : +216 31 390 290 - Fax : +216 31 390 301
E-mail : contact@stautos.tn
www.chery-tunisie.com

Showroom DISTRICARS Sfax : Rue Pavlov, Z.I Poudrière 1 Sfax
Tél. : +216 74 286 285 - Fax : +216 70 032 800
E-mail : contact@districars.tn
www.chery-tunisie.com

الهوارية

الدرّة المعلّقة بين البحر والسماء

تتفرد مدينة الهوارية بجمالها الساحر فتضاريسها تجمع بين الجبل والبحر والسهل.. هي آخر نقطة في الشمال الشرقي للوطن القبلي، لا تبعد عن صقلية الإيطالية سوى 80 كلم وتبعد عن تونس العاصمة قرابة 110 كلم.. هي اليوم وجهة محبّبة للعديد من المصطافين التونسيين والضيوف من عدّة بلدان. سرقت الهوارية من سحر الطبيعة ملامح ميزتها، فزرقة البحر والسماء تحتضنها ونقاوة الهواء الذي ينساب نسائم عذبة من جبالها تستهوي الزائر فيطيب له المقام بين أناس من سماتهم حسن المعشر والتواضع والحفاوة.

Bourse Études
Assurez
à vos enfants
les meilleures études
dès maintenant
تعاونية التأمين للتعليم
Mutuelle Assurance de l'Enseignement
MAE Assurances . تأميـــات
إنت ليّا و أنا ليك

وأنت

في طريقك إلى الهوارية قادما من العاصمة تستقبلك شمالا، على هضبة تطلّ على الغابة والبحر، سلسلة من المراوح الهوائية العملاقة لتوليد الطاقة الكهربائية. فالمحطّة الهوائية بسيدي داود الهوارية هي من أهمّ ما ركّز في البلاد من محطّات بهدف استخدام الطاقات الجديدة والمتجدّدة، ماتزال الهوارية التي أطلق عليها قديما اسم «اكيلاريا» أو مدينة الصقور شامخة بشموخ جبالها..وحتى لسمائها تميّز، فهي آخر نقطة لمراقبة الطيور المهاجرة قبل انطلاقها في رحلة عبور البحر الابيض المتوسط..مغاورها عديدة وكهوفها متّصلة تروي تاريخا يعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة عندما أُخذت من مقاطعها الحجارة لبناء مدينة قرطاج . كانت المغاور بالأمس قبلة للزوار والسياح ولكنها إلى اليوم مغلقة منذ أكثر من عقد ونصف من الزمن بسبب تصدّعات في هياكلها في انتظار إيجاد حلول لصيانة الموقع.. حلول باتت بالنسبة إلى الأهالي ضربا من الحلم..حلم بإعادة إنعاش المنطقة بعودة النشاط السياحي إليها من خلال توافد الزوار على موقع كان بالامس أحد أهم المواقع الأثرية في تونس. الهوارية صمدت وغالبت. ابتكر أهاليها وشبابها أنشطة ترفيهية جديدة فأصبح بإمكان الزائر الخروج يوميا في جولة بحرية على متن زوارق شراعية أو أحيانا على زوارق صيد تقليدي. فإذا بالزائر يمتطي البحر ليستمتع بالسباحة في أماكن على مشارف الجبال لا يمكن الوصول اليها إلا بحرا.

وما يميّز الهوارية أنّها تتربّع بين شاطئين، أحدهما رملي والآخر صخري (المتاريس والقرّادة) وإذا ما عنّ لك تمتيع النظر بمشاهد فاتنة عليك أن تصعد الجبل لتطلّ على رأس الطيب، هذه الذراع الممتدّة في قلب البحر الأبيض المتوسّط في اتّجاه إيطاليا. روّض أهالي الهوارية البحر ودجّنوا الكواسر وجعلوا لطائر الساف مهرجانا في شهر جوان من كل سنة منذ أكثر من خمسين سنة. أضحى الصيد بالساف من التقاليد التي لن يتخلّى عنها أهالي المدينة.. إنّهم لا يربّون هذا الطائر، وإنّما يستضيفونه منذ موفى شهر مارس قبل أن يستعيد كامل حرّيته بعد تنظيم المهرجان. وها هي البلدية تطلق منذ شهر جوان الفارط حملة لإدراج الصيد بالساف ضمن التراث اللامادي العالمي، عساها تساهم في تنشيط الحركة السياحية في المدينة.

تسأل رئيس بلديتها فهمي الأسطى فيحدّثك عن مكامن للتنمية، أساسا بتحويل المنطقة إلى وجهة للسياحة البيئية والثقافية ..

فالهوارية حباها الله بطبيعة خلابة.. شهرة مغاورها تجاوزت حدود تونس وبحرها وشواطئها تعتبر غاية في النظافة.. طبيعة في حاجة إلى الحماية والتثمين وحَريّة ببرامج للتطوير يبقى الدعم من أبرز نواقصها.

يأخذه الحديث عمّا تواجهه البلدية من مشاكل يومية وعن حرصها على قضاء شؤون المواطنين إلى واقع معقّد مردّه قلّة الموارد وخاصة «عدم اكتراث السلط المركزية». البلدية تسعى إلى إنجاز ما يمكن إنجازه بإمكانيات ضعيفة. ولعلّ مكوّنات المجتمع المدني تستقطب بأنشطتها المتنوعة أنظار محبّي الهوارية وأهاليها إلى سبل النهوض بالمدينة والعمل على تثمين مـــواردها. لا يقف الحديث عن الهوارية عند فضائها المتصل بل يتّسع مجاله إلى أفق قريب←

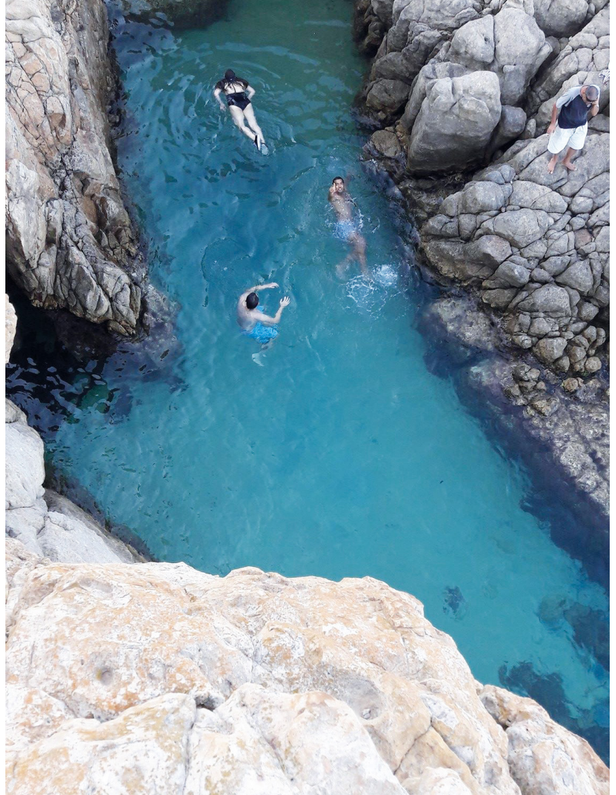

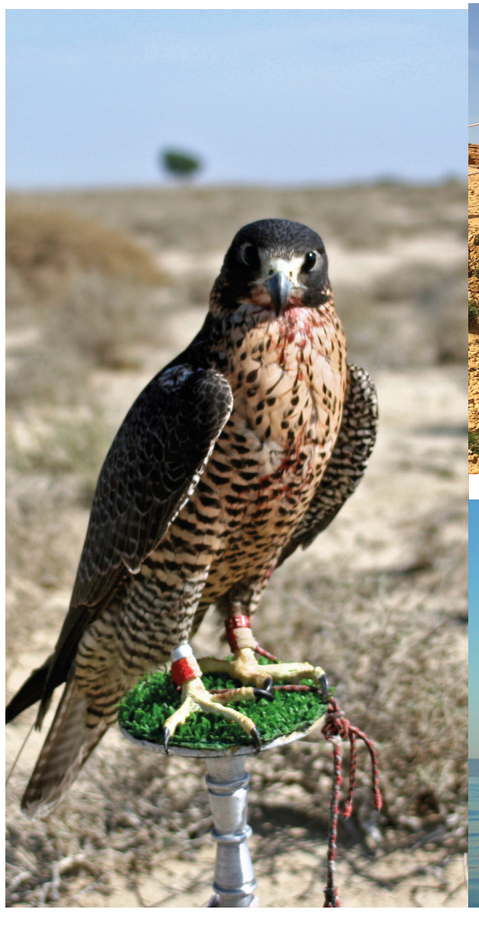

← حيث زمبرة وزمبرتة.. جزيراتان لا تتاح زيارتهما إلّا للمحظوظين ممّن يحصلون على التراخيص اللازمة حتى تطأ أقدامهم أرض الجزيرة العذراء بعد أن أدرجت ضمن قائمة المناطق الطبيعية المحمية. وتبقى إمكانية المرور من جانبي الجزيرة ممكنة ولكن على مسافة محدّدة. تتعدّد الأنشطة الجمعياتية في الهوارية وتجد لأغلبها صدى في مواقع التواصل الاجتماعي.. أنشطة تلتقي حول تثمين المخزون الثقافي من الأكلات التقليدية ومن أبرزها « الكسكسي بالدرع» إلى الصيد بالساف والغوص والصيد التقليدي. أنشطة ثقافية وشبابية على طول السنة غالبا ما تحتضنها دار الشباب بالمدينة التي أضحت بفضل حيويّة مديرها محمد بكّار فضاء للتلاقي والحوار وللدورات التكوينية وآخرها دورة لتكوين صحفيي تلفزات الواب.. أنشطة يراد من خلالها تثمين البعد المتوسطي للمدينة خاصة وأنّ الوطن القبلي في شكله يد ممدودة إلى المتوسط والهوارية أكثرها ولوجا في البحر. تتنوّع الملتقيات وتتعدّد المبادرات في سعي إلى إعطاء دفع جديد للحركة في هذه المدينة الساحرة التي ترفض الرتابة وتتوق إلى تبوّؤ منزلة أفضل قطبا للسياحة البيئية والثقافية في الوطن القبلي.

محمّد الرايس التوكابري

قطاع الأدوية في تونس أين الخلل؟

• بقلم خالد الشّابي

قطاع الأدوية في تونس قطاع استراتيجي يشكّل أحد أعمدة المنظومة الصحية الوطنية. شهد في الأشهر الأخيرة أزمات في مجالي التصنيع والتوزيع تجلّت بالخصوص في نقص لعدّة أدوية في الصيدليّات والمستشفيات. ولئن عرف هذا القطاع تطوّرا ملحوظا منذ ثلاثة عقود فإنّه لا يزال يجابه تحدّيات ويعاني من مواطن خلل نسلّط عليها أضواء كاشفة في هذا الملفّ.

TERIAK
Laboratoires

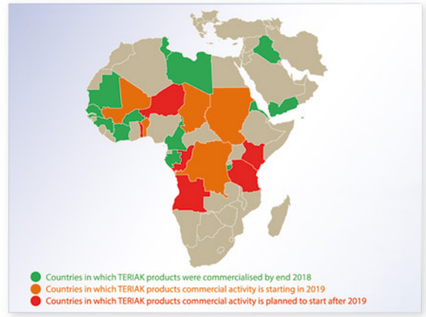

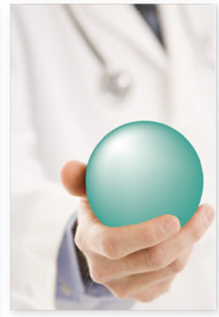

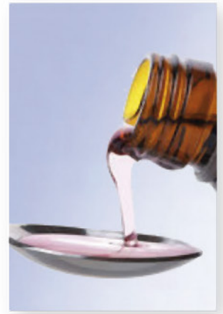

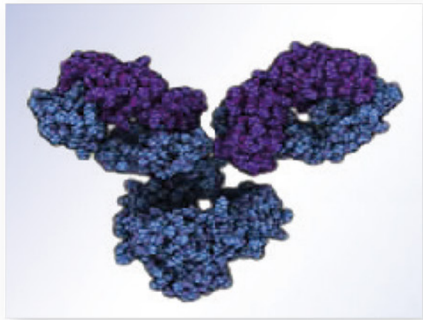

Health, Our passion
www.teriak.com

انطلقت

تونس منذ ثمانينات القرن الماضي في إرساء منظومة للأدوية من أجل ضمان تزويد السوق المحلية التي يحتاجها المواطن وبأسعار معقولة. وبرزت تونس آنذاك كأوّل بلد إفريقي يتولّى صناعة الأدوية وقد ساهمت التشجيعات الجبائية الممنوحة بهذه المواد الحيويّة للمستثمرين في قطاع صناعة الدواء في نجاح هذا النشاط وتطوّره .ورغم حدوث بعض الأزمات في القطاع في الفترة الماضية بسبب ما حصل من نقص في الأدوية بلغ في جويلية 2018 حوالي 172 نوع دواء فإنّ ثقة المستهلك التونسي في الدواء المحلّي لم تهتز . وقد شهد القطاع تطوّرا من حيث عدد المصانع الذي مرّ من ثلاث وحدات تصنيع سنة 1990 تغطي حوالي 8 % من الحاجيات المحلية إلى 42 وحدة إنتاج دواء بشري إضافة إلى وحدات إنتاج الدواء الحيواني ووحدات إنتاج المستلزمات الطبية المختلفة يدعّمها عدد هامّ من المخابر ومراكز البحث . واليوم يغطّي الإنتاج الدوائي التونسي الحاجيات المحلية بنسبة تزيد عن 62 % من الاستهلاك الوطني يمثّل من حيث القيمة ما مقداره 2500 مليون دينار سنويا وبرقم معاملات بلغ 1400 مليون دينار سنة 2018. كما حقّق القطاع في السنة نفسها معدّل نموّ سنوي قدّر بنسبة 18 % (كان في حدود 15% سنة 2006 حسب دراسة للبنك الدولي) في حين لم تتجاوز نسبة النموّ العامة في تـــونس 2.5 % . لذلك تتبوّأ صناعة الأدوية التونسية مكانة هامة في تونس وخاصّة إذا اعتبرنا أنّ التصنيع المحلّي في إفريقيا لا يغطّي سوى 6 % من الحاجيات.

ولئن تطوّر التصنيع من حيث الانتاج فإنّ التصدير لا يزال يحتاج إلى مزيد الدعم والتطوير فنسبة تغطية الواردات للصادرات في قطاع الأدوية لا تتجاوز 12 % بينما تبلغ هذه النسبة 120% في الأردن و15 % في المغرب . ولعلّ هذا يعود إلى أنّ الأولوية الاستراتيجية لتونس هي التصنيع لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الأدوية بتغطية الصناعة المحلية للاستهلاك المحلي علما أنّ نسبة التغطية العامة اليوم تجاوزت نصف الاستهلاك .

كيف تشتغل المنظومة الدوائية التونسية ؟

تستند الصناعة الدوائية التونسية إلى منظومة لها ثلاثة أبعاد أوّلها البعد الرقابي الذي تشترك فيه أربع إدارات وهي إدارة الصيدلة والدواء وإدارة التفقد الصيدلي بوزارة الصحّة والمخبر الوطني لمراقبة الأدوية والمستلزمات الطبيّة والمركز الوطني لليقظة الدوائية، أما البعد الثاني فيتعلّق بالإنتاج وتتولّى هذه المهمة المصانع المحلية إن كانت فروعا لمخابر أجنبية أو على ملك خواصّ تونسيين أو وحدات صنع مؤجّرة تنتج الدواء بترخيص من الشركة الأم يضاف إليها مصنع عمومي واحد على ملك الصيدلية المركزية . ويتمثّل البعد الثالث في التوزيع والذي تتكفّل به الصيدلية المركزية من جهة لأنّها تتولّى تغطية حاجيات البلاد من الأدوية والأمصال المستوردة حصريا وتعمل أيضا كمركزية شراء وتوزيع للأدوية التي تستعمل في المستشفيات. ومن جهة أخرى يتكفّل بالتوزيع موزعو البيع بالجملة والصيدليات الخاصّة والصيدليات التابعة للمستشفيات. هذه الدقة في التعامل مع الأدوية والحرص على جودتها ونجاعتها جعل الإنتاج التونسي من الدواء يلقى إقبالا في الخارج وحالا دون تسرّب الأدوية المقلّدة إلى تونس. ومن نقاط قوّة هذه الصناعة أيضا اعتمادها على الكفاءات التونسية دون غيرها في التصنيع والترخيص والمراقبة واعتمادها كذلك على مراكز ومخابر بحث بما في ذلك البحث الذي يخصّ الأدوية الجديدة المنتجة باستعمال البيوتكنولوجيا استعدادا للمستقبل.

أي أدوية نصنع ؟

تنتج الصناعة الدوائية التونسية – إضافة إلى المستلزمات الطبية– نوعين من الأدوية هي الدواء الأصلي بترخيص من الشركة الأم العالمية عبر فرع لها في تونس أو عن طريق عقود مناولة ويكون المنتوج دواء مصنّعا محليا بنفس مواصفات وجودة الدواء المصنّع في بلد المنشأ أمّا المؤسّسات الأجنبية المستثمرة في هذا القطاع فهي من أوروبا وأمريكا وآسيا. أمّا النوع الثاني فهو الدواء الجنيس ويوجد نوع ثالث لا يزال في بداياته يهمّ الأدوية المجددة والمنتجة بفضل البيوتكنولوجيا (تعتمد على مادة فعالة حيوية بيولوجية وليست كيميائية) وقد بدأت بعض الوحدات التونسية العمل على إنتاج هذه النوعية من الأدوية في تونس. ويعود الاهتمام بهذا النوع من الدواء لقدراته العلاجية ذات المردودية العالية ولأنّه يشهد اليوم انتشارا في سوق الدواء العالمية ينتظر أن يصل إلى 50 % من الإنتاج الدوائي العالمي سنة 2023 كما ينتظر أن يستحوذ على الـمائة دواء الأكثر مبيعا في العالم علما أنّ من بين الـ 20 دواء الأكثر مبيعا في العالم سنة 2018 نجد 12 دواء منتجا من البيوتكنولوجيا.

وحسب السيد أيمن المكي مدير عام الصيدلية المركزية فإنّ الأدوية المصنّعة محليا تغطي جميع الأمراض وحتّى المستعصية منها كالسرطان والأمراض الخصوصية. وقال إنّ الدولة تعمل على تشجيع تصنيع بعض الأدوية التي تعتبر حيوية في تونس ويتمّ استيرادها بالعملة الصعبة وتتكلّف على المجموعة الوطنية مبالغ باهضة مثل الأدوية التي تعالج الأمراض المزمنة أو الأمراض الخصوصية. وهناك اليوم مصانع انطلقت في ذلك.

من التوزيع إلى الاستهلاك

ولهذه المنظومة الدوائية نظام توزيع مدقّق إذ تتكفّل الصيدلية المركزية بتوزيع الدواء المحلي والمستورد نحو المستشفيات أمّا الدواء الموجّه إلى الصيدليات فيوزع بواسطة موزّعي الجملة الذين يقتنون المستورد من الصيدلية المركزية والمحلي مـن المصانع.←

قطاع صناعة الأدوية في أرقام

• 1400 مليون دينار هو رقم المعاملات لسنة 2018، 95 % منه تخصّ الأدوية و 5 % المستلزمات الطبية.

•يغطّي إنتاج شركات صناعة الأدوية المحلية حوالي 78 % من الحاجيات الوطنية من الدواء.

•720 مليون دينار هي قيمة الاستثمار في قطاع الأدوية والمؤمّل القطاع مضاعفتها مستقبلا لتصل إلى 1400 مليون دينار.

•في تونس 42 مصنع دواء موجه إلى الاستهلاك البشري منها وحدة تابعة للدولة وعدّة وحدات تابعة للقطاع الخاصّ وعدد من الوحدات هي فروع لشركات دواء عالمية.

•4 شركات أجنبية تصنّع الدواء في تونس للاستهلاك المحلي وللتصدير.

•10 مشاريع وحدات دوائية جديدة منتظرة خلال الخمس سنوات القادمة.

•20 وحدة لإنتاج المستلزمات الطبية.

•6 مصانع أدوية حيوانية.

•64 % من الدواء المصنّع محليا هو دواء جنيس.

•10 الاف موطن شغل توفّرها صناعة الدواء المحلية وأكثر من نصف العاملين في القطاع إطارات عليا من صيادلة وأطباء ومهندسين وينتظر أن يتطوّر هذا العدد إلى حوالي 15 ألف موطن شغل في غضون سنتين أو ثلاث سنوات.

•51 متدخلاً يتولّى توزيع الأدوية وهم الصيدلية المركزية و50 من الخواص يشغّلون أكثر من 1000 شخص.

•تطوّر التصدير بنسبة 52 % في السنوات الأخيرة وبلغ نسبة 17 % من الدواء المصنّع في تونس سنة 2018 وبلغت قيمته 180 مليون دينار وصدر المصنوع التونسي من هذا الدواء نحو شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء وأوروبا والشرق الأوسط.

•بلغ حجم الأدوية المحجوزة من قبل الحرس الديواني 32.334 قطعة سنة 2018 بقيمة تعادل 396.249 ألف دينار. وخلال الأشهر الأربعة الأولى من سنة 2019 حجزت المصالح الديوانية 7950 قطعة بقيمة 211.380 ألف دينار.

← وبفضل الصيدلية المركزية لا تزال سوق الدواء نشطة مع التحكم في السعر إذ بلغ معدّل سعر الدواء المحلي 6.900 د والمستورد الذي يباع في الصيدليات 13.900د. وبفضل الصيدلية المركزية أيضا لا يوزّع في تونس أيّ دواء مقلّد. وقد عرف الاستهلاك الدوائي في تونس تطوّرا ملحوظا إذ بلغ بالنسبة إلى المستشفيات ما قيمته 575 مليون دينار سنة 2018 منها حوالي 136 مليون دينار أدوية محلية. وعموما يستهلك التونسي سنويا ما قيمته حوالي 2500 مليون دينار أدوية مستوردة ومحلية.

التحديات والأهداف

يواجه القطاع عديد التحديات متأثرا بعدة عوامل مثل تدهور قيمة الدينار والمعوقات التي تعترض التصدير وطول الانتظار للحصول على ترخيص ترويج الأدوية بالسوق التونسية والضغوطات الجديدة على الدواء التي يفرضها مشروع اتفاق التبادل الحرّ الشامل والمعمّق «الأليكا» وتنظيم مسالك توزيع الدواء في القطاع العمومي والخاص وعدم الاستقرار السياسي علاوة على والتغييرات المتكرّرة لوزراء الصحة منذ الثورة والأزمة الاقتصادية التي تعيشها تونس والاحتكار الذي تمارسه الشركات الكبرى المهيمنة على صناعة الدواء في العالم. ومن أهمّ التحديات التي يعيشها القطاع نجد أوّلا تحقيق الاكتفاء الذاتي من الأدوية في السوق التونسية حتّى لا تتعرّض إلى خلل في التزويد وتعمل المنظومة على تحقيق هذا الهدف لكنها لم تصل إليه بعد إذ تمكّنت من تحقيق ما نسبته 52 % اكتفاء ذاتيا عاما من حيث القيمة في قطاعي المستشفيات والصيدليات حسب السيدة سارة ليمام المصمودي رئيسة الغرفة النقابية الوطنية للصناعات الصيدلية . ويؤمل أن تتطوّر هذه النسبة لتصل إلى 62 % . وأشارت رئيسة الغرفة إلى أنّ الاكتفاء الذاتي من الأدوية المحلية في قطاع الصيدليات بلغ 62 % من حيث القيمة والهدف هو الوصول به إلى نسبة 72 % وهذا يمثّل تغطية لاحتياجات التونسيين الدوائية بأكثر من 78 % من حيث الحجم أي أنّ من بين 10 علب أدوية تباع في الصيدليات 8 منها منتجة في تونس . وتغطّي الصناعة المحلية في المستشفيات حوالي 24 % من قيمة الأدوية المحلية أمّا البقية فهي أدوية مستوردة وغير مصنّعة في تونس لأنّ تكلفتها عالية وتحتاج إلى استثمارات كبيرة ومصانع متطوّرة والهدف الذي

يرام تحقيقه هو على الوصول بتلك النسبة إلى 31 %. ويستوجب تطوير نسبة الاكتفاء الذاتي من الدواء تشجيع المصانع المحلية والوحدات الدوائية وتشجيع الاستثمار في القطاع.

أمّا التحدي الثاني فيتمثّل في التصدير وحسب السيدة نادية فنينة المديرة العامة لوحدة النهوض بالاستثمار وتصدير الخدمات الصحية فإنّ صناعة الدواء في تونس تصدّر اليوم ما قيمته 180 مليون دينار. والمؤمل الترفيع في هذه القيمة إلى 1350 مليون دينار اعتبارا لما لتونس من قدرة صناعية هامّة في مجال الدواء (48 مصنعا) وترى السيدة نادية فنينة أنّه يمكن تحقيق ذلك بالتقليص في مدّة الحصول على رخصة ترويج الدواء والعمل على التصدير نحو أسواق جديدة خاصّة وأنّ الدواء التونسي يتمتّع بسمعة طيبة من حيث جودته بالإضافة إلى تنظيم قطاع التصدير ببعث شركات مختصّة في هذا المجال أو انشاء مركز تصدير تابع لوزارة الصحة لأنّ المصدّر اليوم هو المصنّع ...

المقترحات التي يطرحها أهل المهنة

يحتاج القطاع إلى مقاربة جديدة تجعل من هذه الصناعة أكثر تنافسية وانتشارا في الأسواق العالمية وتحافظ على التطوّر الذي يشهده وتضمن مزيد تنظيمه بوضع نصوص قانونية تستجيب للمستجدّات في مستوى المعايير الدولية وللتطورات التكنولوجية في هذا المجال من خلال سياسة دوائية أكثر مرونة. وتتمثّل مقترحات أهل المهنة فيما يلي:

• دعم الصيدلية المركزية التي تؤمن للبلاد التزود بالدواء وتحمي تونس من الأدوية المقلّدة أو التي تفتقر إلى الجودة.
• تمكين الصيدلية المركزية من القيام بدور في تطوير تصدير الأدوية التونسية.
• دعم منظومة تصدير الأدوية وتذليل الصعوبات في مجال النقل المرتبط بتصدير الأدوية ومزيد دعم البنوك للتصدير.←

الأدوية الجنيسة: لا تختلف عن الأدوية الأصليّة

عندما تنتهي حقوق فترة البراءة لأيّ دواء أصلي والتي تمتد قانونيا إلى 20 سنة يصبح بإمكان مصنّعي الأدوية في العالم صناعة ذلك الدواء فيسمى جنيسا وهو يمثّل النسبة الكبرى من الدواء المصنّع في تونس . فما حقيقة هذا الدواء ومدى فاعليته ؟

يؤكّد أصحاب الاختصاص أنّ هناك صورة خاطئة لدى التونسيين صور خاطئة عن الدواء الجنيس فهذا الدواء خلافا للاعتقاد السائد هو نفس الدواء الأصلي لكنّه مصنّع محليا ولا فرق بين النوعين فلهما نفس الجودة لأنّهما يستعملان نفس المادة الفعّالة التي يتمّ اقتناؤها من نفس المصنع وتستعمل بنفس المقادير ونفس التركيبة .كما يتّبع في صناعة الدواء الجنيس نفس إجراءات تصنيع الدواء الأصلي. وللحصول على ترخيص الترويج في السوق التونسية على مصنع الدواء الجنيس إثبات كلّ ذلك عبر دراسات تسمى «دراسات التكافؤ الحيوي» تجريها مخابر مختصّة تثبت أنّ للدواء الجنيس نفس تأثير الدواء الأصلي وتؤكد أنّه مثل الدواء الأصلي وليس تقليدا له وكلّ ذلك يخضع لمراقبة وزارة الصحة . ويؤكّد أحد المختصّين أنه قد تحصل بعض الاختلافات لكنّها محصورة في بعض الإضافات التي ليس لها تأثير في العلاج..

وتختصّ المصانع التونسية بصناعة الدواء الجنيس بنسبة تبلغ حوالي 64 % من الدواء المصنّع محليًا. ويتميّز الدواء الجنيس بسعره المنخفض مقارنة بالدواء الأصلي بنسبة تتراوح بين 30 % و50 %.

وعلى سبيل المثال مثلا 80 % من الأدوية المستعملة في فرنسا أدوية جنيسة مقابل 70 % في ألمانيا.

• تذليل الصعوبات التي تحول دون تسجيل الدواء التونسي في أوروبا.
• توفير حماية للصناعة الدوائية التونسية أمام الدواء الجنيس الأجنبي الذي يروّج في السوق التونسية بصورة قانونية لكنه يباع بأسعار أقل من أسعار نفس الدواء المصنع محليا ومراجعة قرار تمكين الأدوية الأصلية المستوردة التي تنافس الدواء التونسي من الدعم والذي بلغ ما قيمته 55 مليون دينار سنة 2018 من إجمالي الدعم المخصّص للدواء والذي بلغ في نفس السنة 210 ملايين دينار .
• تمكين المصنّعين من تشجيعات لتطوير الأدوية الجنيسة وتوسيع مصانع الأدوية.
• اعتبار تذبذب العملة عند تحديد سعر الدواء المستورد وتفادي الخسارة عند تصدير الدواء للخارج ليكون قادرا على المنافسة.
• الفصل بين تحديد سعر الدواء والحصول على ترخيص الترويج ومراجعة التوجّهات الخاصّة بالترخيص واعتماد المرونة في تسعير الدواء وفي إجراءات التسجيل.
• العمل على تشجيع انتاج الأدوية المجددة من البيوتكنولوجيا لأنّ كلفة استيرادها مشطّة ممّا سيخفّف أعباء التوريد لكنّه سيزيد في حجم الصادرات نظرا إلى أنّ تلك الأدوية مطلوبة عالميّا.
• إنشاء مخابر وطنية تختصّ في دراسات التكافؤ الحيوي التي كان المصنع التونسي يقوم بها في الخارج. ويمكن للسوق التونسية أن تستوعب 10 مخابر من هذا النوع يمكن الاستفادة منها في تونس علاوة على تصدير خدماتها إلى الخارج علما أنّها لا تحتاج إلى استثمارات كبيرة وأنّ الكفاءات البشرية متوفّرة.
• التسريع في الترخيص للمستثمرين بإنشاء مصانعهم.
• تشجيع الاستثمار اعتبارا لوجود فرص استثمارية وازدياد الطلب على الدواء.
• وضع نصوص قانونية تنظّم البحث العلمي وتدعمه.

خ.ش.

الصيدلية المركزية : حامية سوق الدواء في تونس

تعتبر الصيدلية المركزية دعامة هامّة من دعائم المنظومة الدوائية في تونس. ويتمثّل دورها، حسب مديرها العام السيد أيمن المكّي في الاستيراد الحصري للأدوية وبعض المستلزمات الطبية والأمصال والتلاقيح للاستهلاك المحلي وتتولّى تزويد المؤسّسات الاستشفائية العمومية بالأدوية والتلاقيح والأمصال سواء المنتجة محليا (وفق طلبات عروض وطنية بمشاركة المصنّعين المحليين) أو المستوردة وذلك بشكل حصري أيضا. وتتصرّف الصيدلية المركزية في 7500 نوع من الأدوية والمستلزمات الطبية من بينها 4500 دواء.كما تمرّ الأدوية المستوردة المروجة في الصيدليات الخاصة عبر الصيدلية المركزية. وجاء في الحديث الذي أجريناه مع السيد أيمن المكّي ما يلي:

كيف تتفادون الأدوية المقلّدة ؟

تستورد الصيدلية المركزية الأدوية الأصليّة غير المقلدة لأنّها تتعامل مباشرة مع مصنّعيها أو مع ممثليها في الخارج أو في تونس لذلك لا توجد في تونس أدوية مقلّدة ويستحال هذا في المسالك الرسمية لذلك ندعو المواطنين إلى التعامل مع المسالك الرسمية ضمانا لجودة الدواء وحماية لصحّتهم علما أنّ عديد المخابر في العالم تقاوم ترويج الدواء المقلّد نظرا لزحف الأدوية المقلدة المتأتية من الصين والهند وغيرهما .

كيف تقيّمون تزويد السوق حاليا إثر ما شهدته من اضطرابات في الأشهر الأخيرة ؟ وماذا عن مخزون الدواء في تونس؟

يمكن القول إنّ حالة التزويد عادية في الوقت الراهن حتى وإن تقلصت مخزونات بعض الأدوية. فالوضع في المستشفيات لا تشو به شائبة إذ لا توجد أزمة من حيث التزويد بالأدوية لأنّ الصيدلية المركزية تتعامل بطريقة الصفقات العمومية بالنسبة إلى القطاع العمومي فتكون الشراءات مبرمجة مسبقا ولأنّ أنواع الأدوية المتوفرة في المستشفيات تختلف عن تلك التي نجدها في القطاع الخاص. أما بالنسبة إلى القطاع الخاص نلاحظ نقصا في بعض الأدوية المستوردة خاصّة عندما يتعثّر التزويد إمّا بسبب تأخّر تسديد مستحقّات المخبر المصنّع أو لأنّ المخبر نفسه اتجه إلى سوق أخرى. وقد يطرأ كذلك تعثّر في التزويد بسبب اضطراب قد يحدث في صنع الأدوية المحلية. والاضطرابات في التزوّد عموما هي عادية ففي فرنسا مثلا تمّ تسجيل 600 دواء مفقود سنة 2018.

وبالنسبة إلى مخزون الدواء فهو يغطّي حاليا 3 أشهر من التزوّد. وهناك بعض اشكاليّات في بعض العلامات لكنها خارجة عن نطاقنا وهي ناتجة عن الوضعية المالية للمؤسّسة. ونحن نطمح إلى مضاعفة حجم المخزون ببناء «مدينة دواء 2» في العقبة (مدينة 1 موجودة في رادس) مما سيسمح بتطوير المخزون من حيث التنوّع والكميّات الضرورية.

وهل وجدت الصيدلية المركزية حلولا لديونها ولمستحقّاتها ؟

يبلغ حجم ديون الصيدلية المركزية لدى المخابر الأجنبية 500 مليون دينار ويتمّ دفعها مجدولة شهريا لأنّها ديون متجدّدة وليس لدينا تأخير في الدفع . أمّا مستحقّات الصيدلية لدى الهياكل العمومية (المستشفيات وصندوق التأمين على المرض) فتبلغ 950 مليون دينار، منها 400 مليون دينار ديون متخلّدة لذمّة المستشفيات وقد اتخذ المجلس الوزاري بتاريخ 28 مارس 2018 قرارا بتكفّل الدولة بتسديد نصف ديون المستشفيات على أن تتعهّد المستشفيات التي حصلت على الأدوية بدفع باقي المبلغ. وقد أبرمت وزارة الصحة اتفاقيات مع كلّ المستشفيات لضمان سيولة مالية شهرية لخلاص مستحقّات الصيدلية المركزية بداية من شهر جوان 2019 .

ما هي الصعوبات التي تعيشها الصيدلية المركزية ؟

في مجال الحوكمة تفتقد الصيدلية المركزية إلى هيكل تنظيمي ولها نظام أساسي قديم جدّا أمّا نظام المعلومات فهو غير متطوّر وليس للصيدلية منظومة مرقمنة لمتابعة مسالك توزيع الأدوية.

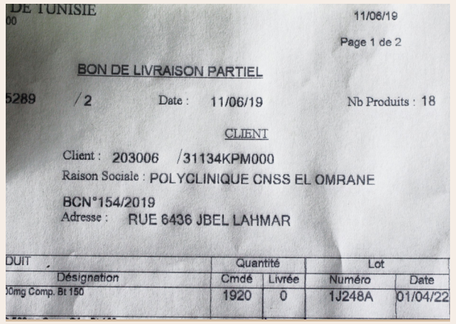

DE TUNISIE
11/08/19
Page 1 de 2
BON DE LIVRAISON PARTIEL
5289 / 2 Date : 11/06/19 Nb Produits : 18
CLIENT
Client : 203006 /31134KPM000
Raison Sociale : POLYCLINIQUE CNSS EL OMRANE
BCN°154/2019
Adresse : RUE 6436 JBEL LAHMAR

Désignation	Quantité Cmdé	Quantité Livrée	Lot Numéro	Lot Date
30mg Comp. Bt 150	1920	0	1J248A	01/04/22

المخبـــر الوطني لمـــراقبة الأدوية والمستلزمـــات الطبيـــة : مخبـــر ذوصيـــت عـــــالمي

بدأ نشاط مراقبة الأدوية منذ ثمانينات القرن الماضي وكان يضطلع به المعهد الوطني للتغذية وفي سنة 1990 تمّ بعث المخبر الوطني لمراقبة الأدوية والمستلزمات الطبية. ونظرا لنجاحه في هذه المهمة ولكفاءة إطاراته وجديته أصبح للمخبر اليوم صيت عالمي يعترف له بجودة عمليات المراقبة التي يقوم بها عند التصدير. يذكر السيد شهاب بالرّيانة المدير العام للمخبر أنّ من مهامّه المراقبة الفنية لكلّ المنتوجات الصحية. وتشمل قائمة من المواد المورّدة مثل المكمّلات الغذائية والمستلزمات الطبية والمستلزمات الخاصّة بالأطفال ومواد التجميل، ممّا يسمح لها بالحصول من إدارة الصيدلة والدواء بوزارة الصحّة على ترخيص للاستهلاك في تونس. كما يراقب كلّ الأدوية التي تتطلّب رخصة ترويج في السوق المحليّة ويتمّ هذا على مرحلتين: مرحلة أولى أثناء إجراءات التسجيل فيتولّى المخبر تقييم الملف المقدّم من حيث جودة المنتوج ومكوّنات الدواء ومطابقة المواد الأولية المستعملة للمواصفات الدولية، كما يقيّم مراحل صنعه ومطابقتها لما هو معمول به في المنتوج النهائي ويقيّم المعلومات التي يضعها المصنّع على العلبة. وإذا كان الدواء جنيسا يقدّم دراسات التكافؤ الحيوي مع الدواء الأصلي .كما يتولّى المخبر تحليل العيّنات التي قدّمها صاحب طلب الترخيص وبناء على كلّ ذلك يقدّم المخبر رأيه النهائي . وتستغرق تلك الإجراءات سنة على الأقلّ لحصول الدواء على رخصة الترويج بواسطة اللجنة الفنية للاختصاصات الصيدلية التي تبدي الرأي النهائي وتعطى الرخصة لصاحب الدواء ممضاة من وزير الصحة. أمّا المرحلة الثّانية فتتم بعد تسويق الدواء حيث تجرى مراقبة دورية بواسطة إدارة التفقد الصيدلي بوزارة الصحّة كما تتمّ المراقبة عند حصول تشكّيات صادرة عن طبيب أو مواطن ..كما يراقب المخبر التلاقيح والأمصال والأدوية البيولوجية. وعموما يرفض المخبر حوالي 2 % إلى 3 % من طلبات الترخيص للأدوية المستوردة غير المطابقة للمواصفات.

الأليكا : خطر على صناعة الأدوية في تونس

ازدادت إلى مخاوف الصناعيين في الفترة الماضية إمكانية تطبيق اتّفاق التبادل الحرّ الشامل والمعمّق بسبب المقترحات التي طرحها الجانب الأوروبي و (ألكا) بالنسبة إلى قطاع الأدوية وتقول السيدة سارة ليمام المصمودي رئيسة الغرفة النقابية الوطنية للصناعات الصيدلية في هذا الصدد : إنّ مسألة الدواء مطروحة في مشروع الاتفاق لكن من باب الملكية الفكرية لأنّه لا علاقة لها بفتح الأسواق التجارية لهذا المنتوج. فسوق الدواء في تونس مفتوحة للدواء المستورد بالقانون لكن في المقابل لا يسمح للدواء التونسي أن يروّج في أوروبا باسم المصنع التونسي وإنّما باسم شركة أوروبية. كما يراد من خلال الاتفاق تريد التمديد في فترة البراءة المحدّدة عالميا بـ 20 سنة والتي تتمتّع بها الأدوية الأوروبية حاليا مما يسمح للشركات الأوروبية بترويج الدواء الأوروبي الأصلي لأطول فترة ممكنة في السوق التونسية لكن في المقابل لم يقدّم الجانب الأوروبّي شيئا لتونس. ولتمرير ذلك يتحدّث هذا الطرف عن التمديد في البراءات بينما في الواقع ليس للأدوية التونسية براءات وبالتالي فالمستفيد الوحيد هو الدواء الأوروبي. مشروع الاتفاق هذا خطر على صناعة الأدوية في تونس لأنه لا يعطي لبلادنا الفرصة لتصنيع الدواء الجنيس بل سيضرب هذه الصناعة الوطنيّة ممّا سيحرم المستهلك التونسي من استهلاك دواء بأسعار أرخص وهو الدواء الجنيس المحلي وسيثقل كاهل الصناديق الاجتماعية التي تواجه اليوم صعوبات جمّة.

وأكدت رئيسة الغرفة أنّ وزارة الصحة والنقابة لهما موقف موحد من ذلك وهو رفض تلك الاقتراحات وعدم الدخول في أي صفقة مع أوروبا في هذا الاتجاه وقالت إنّ النقابة تريد استثناء القطاع من «الأليكا» لأنّ مجال الدواء ليس فيه انفتاح متكافئ بين الأسواق فسوقنا مفتوحة بينما السوق الأوروبية مغلقة وهذا يؤدّي إلى عدم توازن لأنّ المفترض أن تكون الأولوية في الدواء لصالح الجهة الأضعف في الاتفاق وهي تونس في هذه الحالة .

مشروع ميثاق التشاركية بين القطاعين الخاص والعام لتطوير تنافسية قطاع الصيدلة

ينبني مشروع ميثاق التشاركية بين القطاعين الخاص والعام لتطوير تنافسية قطاع الصيدلة والمقترحات المنبثقة عنها على خمسة محاور وهي:

أوّلا : سيتمّ النظر في طريقة ضبط أسعار الأدوية وتعديلها واقتراح بعث مجلس موحّد للأسعار كما ستدرس كيفية إصلاح الدعم الذي تقدّمه الصيدلية المركزية للدواء وتعديله خاصّة وأنّ الدواء المستورد يستفيد من الدعم ومن بين المقترحات المطروحة ضمن هذا المحور إصلاح طرق شراء الدواء للمستشفيات عبر طلبات العروض وبعث وكالة للأدوية تهتمّ بكل الأنشطة التقنية الخاصّة بالدواء والتقليص في آجال الترخيص للدواء حتّى يروّج في السوق التونسية .

ثانيا : تشجيع إنتاج الأدوية من البيوتكنولوجيا.

ثالثا : تطوير مناخ الأعمال الخاصّ بصناعة الأدوية من البيوتكنولوجيا.

رابعا : تطوير البحث السريري وبعث مراكز دراسات التكافؤ الحيوي الخاصّ بالأدوية الجنيسة ودعم التصدير.

خامسا : التكوين القائم عل الحاجيات المستقبلية لقطاع صناعة الأدوية للوصول إلى 4 آلاف انتداب جديد في السنوات القادمة.

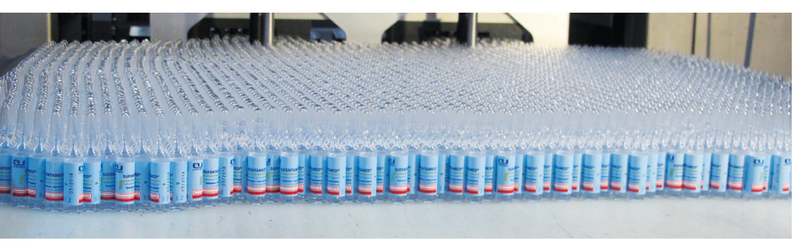

مسلك الدواء المحلّي من المصنّع إلى المستهلك

يمرّ الدواء المصنّع بتونس قبل الوصول إلى المستهلك بالمسلك التالي:

1 – ترخيص مسبق يحصل عليه المصنع من وزارة الصحة لتصنيع أي دواء بتقديم ملف علمي وفني وصيدلي وتستغرق الإجراءات حوالي 5 سنوات تجرى فيها كل المراقبات على العيّنات التي قدمها صاحب الطلب.

2 – الحصول على المواد الأولية وهي غالبا مورّدة.

3 – يصنع الدواء تحت مسؤولية الصيدلي المسؤول فنيا في المصنع والذي تتمّ تسميته بقرار وزاري وهو في النهاية الذي يؤشّر على الدواء حتى يسوّق أو لا يسوّق.

4 – الخضوع للمراقبة الدورية من إدارة التفقد الصيدلي وخاصة عندما ترسل تشكّيات ضدّ أحد الأدوية.

رأي

بقلم د. احميده النيفر

المهاجرون من تونس وزر المكان وفتنة الزمان الجديد

1 - صرّح الشاب المتفوّق وطنيا في شهادة البكالوريا من شعبة العلوم التجريبية بمعدل 19.50 أنّ الطبّ لا يستهويه وأنّه سيواصل دراسته بالخارج. واصلت المتفوّقة في شعبة العلوم التقنية بمعدل 19.58على نفس النهج قائلة بعد أن عرّفت بسرّ نجاحها إنّ وجهتها في الدراسة هي ألمانيا. لم يكذّب الأول في شعبة العلوم الإعلامية زميليه فطموحه هو الآخر الدراسة بالخارج.

2 - لماذا يتّجه طموح المتفوّقين إلى المغادرة التي يُستبعد أن تكون وقتية؟ وهل أنّ الأمر كما علّق أحد المدوّنين مظهرٌ آخر من مظاهر استيلاء أوروبا على المتفوّقين من النخب التي يبذل الأساتذة والأولياء جهودهم لإنجاحها بما يجعل تونس «كالشهيلي اللي يُطَيِّب لغيره» أو بالعبارة الفصيحة: «كالمِسَنِّ يشحذُ ولا يقطع»؟

ما يثير القلق فعلا أن الأمر أصبح لافتا إذ تجاوز المغادرين المتخرجين بالباكالوريا والقاصدين أوروبا والبالغ عددهم الـ60 ألفا ليشمل العديد من الكفاءات التي صَيَّرتْ تونس الثانية عربيا في هجرة الأدمغة. لقد اتّجه للهجرة كبار المديرين والمعلّمين والمهندسين والأطبّاء وخبراء الحاسوب والصيادلة فيما يُفهم أنّ البلاد ضاقت بأهلها.

في هذا يفيد مدير عام ديوان التونسيين بالخارج أنّ احصائيات سنة 2018 كشفت أنّ 12 % من التونسيين مقيمون بالخارج وأنّ عددهم يقارب مليون و300 ألف تونسي وأنّ تَوَزُّعَهم على بلدان المهجر ظلّ دون تغيير كبير. لقد بقيت فرنسا هي الأولى، 800 ألف تونسي، تتلوها إيطاليا بـ 200 ألف وألمانيا بما يقارب الـ 100 ألف مع بلدان الخليج العربي بـ 120 ألف تونسي.

3 - حين نتابع اليوم حركة المهاجرين الباحثين عن المستقبل والاستقرار، ندرك أنّ مساعي المغتربين اتّسعت لتتّجه إلى كندا والصين وسنغافورة وتايوان والهند. فهل أنّنا في تونس، نسعى على نفس الدرب الذي سلكته لبنان التي يناهز عدد المغتربين حاليا الـ 18 مليونا مقابل ما يتجاوز الـ 6 ملايين من المقيمين والتي تبلغ نسبة نزيف هجرة الشبيبة اللبنانية الـ 46 % من أصحاب الشهادات العليا؟

في تفسير موجة النزوح التونسي، شبابا وكفاءات، يقدّم خبراء التنمية البشرية للعالم العربي ثلاثة أسباب يعتبرونها أساسية: - الإغراءات المادية نتيجة تدنّي الرواتب المحلية – البيئة العلمية المتطوّرة والمريحة – توفّر مواطن عمل للمتخرّجين العاطلين.

في تفسير المختصّين في التعاون والتنمية الاقتصادية لسنة 2018 يبرز العامل المادي المهني والنفسي. هو عامل لازَمَ حركة الأفراد والجماعات لأنّ «المكان» مثّل عِبئًا على الإنسان منذ القديم إذ كان يقمع حاجاته، يأسر تطلّعه ويحدّ من طموحه. من ثمّ كان الترحّل والنزوح عن المكان ظاهرة ملازمة للنشاط البشري حافزة على التطوّر والتحضّر. لذلك عبّر الشاعر العربي عن هذه المعاني الإنسانية بقوله:

سافرْ تجدْ عوضا عمن تفارقه ... وانصَبْ فإنّ لذيذ العيش في النَصَبِ
إنّي رأيتُ ركود الماء يُفْسِدُه ... إن سال طاب وإن لم يَجْرِ لم يَطِبِ

4 - في المستوى التجريدي احتلّ «المكان» حيّزا هاما في النشاط الفكري المبدع حتّى قيل إنّه «لا يوجد في الفلسفة بل ولا في المعرفة النظرية ميدان لا يدخل فيه مشكل المكان أو يتداخل معه بكيفية أو بأخرى». يُدرَك هذا عند أرسطو ثمّ ابن سينا والرازي ليتواصل مع الفلاسفة المحدثين في الغرب من «ديكارت» و«لايبنتز» مرورا بالماديين حتّى «آينشتاين» والنظرية النسبية. مع هؤلاء ساهم الفيزيائيون والرياضيون وعلماء التربية والنفس إلى جانب الإثنولوجيين في بحث مسألة المكان كلٌّ من زاوية اختصاصه مبيّنين أنّه موضوع متميّز لأنّ المكان ليس مجرّد فراغ. مع بروز ظاهرة العولمة تمّ التشديد على مسؤولية هذه الأخيرة في تشجيعها على هجرة الأشخاص وحركية الجماعات. بفضل وسائل النقل الحديثة وبدعم من وسائل الإعلام والاتّصال التي حدّت من أبعاد المكان بدا التنقل البشري ضربةَ لازمٍ تأكّدتْ نتيجةَ التطوّرات التكنولوجية للتواصل المعرفي والماديّ.

لقد تحقّق اليوم وبأجلى صورة المعنى الذي يجعل الإنسان كائنا تواصليا بامتياز ومخلوقا مهاجرا دأبه التغلّب على الحواجز وتجاوز الحدود.

هذا ما جعلنا نشهد تفاقم حركية التنقّل والهجرة الملحوظين بصورة غير مسبوقة. ذلك ما تشهده في المدينة والقرية وتلمسه في الزيجات المختلطة التي لا تأبه بالفروق الاجتماعية والجهوية والقومية والعرقية وفيما تسمعه من تنوع اللهجات واللكنات وتزاحمها فضلا عما يَشُدُّكَ من تدافع لا يهدأ في مطارات العالم وموانئه وعلى طرقه السيّارة. من هذه الوتيرة العالية في التنقل تحدّدت لدى الباحثين أسئلة كبرى عن أهميّة ظاهرة الهجرة وعن دلالاتها بالنسبة إلى الشباب وإلى المجتمعات المتخلّفة والنامية فضلا عن مردودها على ذوي الإمكانيات المحدودة والكفاءات المتدنية. ذات الأسئلة تطرح أيضا بالنسبة إلى المجتمعات الغنية وما يرتفع فيها من شعارات مقاومة للمهاجرين لكونهم يهدّدون «هويتنا الوطنية» أو «يسرقون وظائفنا».

5 - ما لا ينبغي أن نغفل عنه إلى جانب عنصر المكان الاستتباعُ الآخر للعولمة المتعلّق بالزمان وأثره في استشراء ظاهرة هجرة الكفاءات المتميّزة والصاعدة. لقد أسهمت العولمة بصورة مباشرة وواضحة في تجاوز أوزار المكان عندما عملت على اختزال العالَم في قرية تناهض فيها السوقُ الدولةَ ويستحوذ فيها المالُ على السياسة بما مهّد لصيغة جديدة من صيغ مركزة العالم حول قطب واحد.

الأهمّ فيما نحن بصدده أنّها فتحت أبواب عصر جديد يُعرَف بـ«الزمان الرقمي» المستوعِب لمستويين من نمط العيش والتفكير والإدراك والإنتاج: مستوى الزمن / التوقيت (Le temps numérique) ومستوى الزمان / العصر (L'époque ou l'ère numérique). يتيح المستوى الأوّل عيشاً بالنظام الفوري (Instantané) بفضل اختراق المسافات تخاطباً وتواصلا ونقلا للمعلومة والصّورة مُلْغِيًا الحواجز القديمة التي كانت تجعل المهاجر القديم كأنّه مُقدِمٌ على منفى يقطع أوصال ما بينه وبين أهله وأصحابه ولغته ووطنه. تحقّق ذلك بفضل وسائل الاتصال المختلفة التي أسقطت التباعد المكاني بشكل مكّن الزمن الجديد من التحكّم في الواقع والتصوّر والوعي.

في المستوى الثاني يتمّ الدخول إلى عصر جديد مُشرَّعٍ لمن استفاد من تعلّم اللغات ومَن تَضَمَّن إمكانيات الإعلامية والتكنولوجية الحديثة والذكاء الاصطناعي واحتوى المشاغل والمناهج الجديدة في انشداد إلى آفاق أرحب. هذا المستوى من العصر الرقمي جسّر علاقته بالزمن الرقمي في خاصية الفورية مضيفا إليها إرساء نموذج إدراكي جديد يمكّن من قيمة مضافة في مجالات الاختصاص والبحث المختلفة (الطب- الهندسة- التربية- الاقتصاد- الإعلامية- الاستراتيجية...).

6 - مع الزمان الجديد وفضائه الرقمي تنفتح للشباب المتفوّق وللكفاءات العالية آفاق واسعة بالغة الإغراء تتحدّى انتماءاتهم وعالَمهم القديم باختياراته المؤسّسية والاقتصادية. إنّها آفاق القدرات المتعدّدة التي تتيح للمهاجر إمكانيات الارتقاء بالخطأ والصواب عبر حرية مُفْضِيةٍ إلى أكثر من خيار بناء على فردانية متمركزة حول انتماء شاسعٍ كوكبي.

يزيد من جاذبية هذا الزمان الجديد أنّ مهاجر اليوم يبدو بمنأى عن محنة الغُربة المريرة بفضل ما يتيحه الزمن الجديد من إمكانيات التواصل الفوري. لذلك فهو يعتقد أنه مُحصَّن من جهة وممتلكٌ لحرية الاختيار بما تتضمّنه تلك الآفاق من إمكان وتعدّد تجعله سيّد الموقف المُمسِكَ بزمام حياته من جهة أخرى.

فهل من مسوّغ لمؤاخذة هؤلاء المغادرين لأوطانهم المُصغين إلى أصوات المستقبل الواعد الذي يدعوهم إلى الإقدام على عالَمٍ ونموذجٍ جديدين؟

للإجابة هناك تصحيح ضروري: الزمان الرقمي ليس ظاهرة جزئية عابرة منتهاها إتاحة فرص علمية ومهنية ذات أبعاد اقتصادية -سياسية- نفسية محض. إنّها أكثر من ذلك لأنّها تدشّن دورةً حضارية جديدة بتطوّرات تقنية ومعرفية كثيفة ذات دلالات اجتماعية شاملة شديدة التأثير في الفضاء الثقافي والنسيج القيَمي والسلوك الفردي والجمعي.

هو زمان غير واضح المعالم، المؤكّد فيه أنّه يُوجِد شبكات تواصل وتضامن وتنافس بين الفئات والجماعات على اتّساع الأرض. بذلك تتولّد شرعيات جديدة تتجاوز شرعيات الذات والعائلة والمدينة والوطن التي أنشأتْ المهاجر. هو ولوج في نموذج ينزع المهاجر من ثقافاته الوطنية للاندماج في ثقافة النخبة العالمية للعولمة. بهذا التمايز ينفصل المهاجر عن النموذج القديم بما يحشر ثقافته الوطنية (اللغة، الوعي، العلاقات، القيم، الذوق، التصرّف..) بعد مغادرتها في حالة ذبول وتخفيض نتيجة إبعادها عن حقول السلطة الناجعة علميا واقتصاديا وسياسيا.

7 - من هذا التمايز الثقافي تندلع «فتنة» الزمان الرقمي الذي يذكّر بفتنة «كاليبسو»، حورية الأسطورة اليونانية، التي تأسر من يتيه في البحر ويحلّ على شطآن جزيرتها. فتنة الزمان الرقمي ينحو الاستقطاب الأساسي فيها إلى أن يكون بين نخب وطبقات اجتماعية مندمجة على الكوكب لا بين فئات ذات طبيعة وطنية أو قومية. به يُخلَق رأسمال ثقافي ورمزي مستقلّ بنخبة عالمية جديدة تواجه ثقافات وطنية منزوعة القوّة والفاعلية ومُخفَضَة القيمة تدفع إلى التنصّل منها نحو نموذج معولم وكوكبي.

ح.ن
جامعي وعضو بيت الحكمة

عن الإخفاق المدرسي

• بقلم د. منجي الزيدي

تعيش الأسر التونسية في نهاية كلّ عام دراسي على إيقاع نتائج الامتحانات، فتتعالى أهازيج الفرح وزغاريده في بيوت كثيرة، وتغرق بيوت كثيرة أخرى في صمت الحسرة والشعور بالخيبة. ذلك أنّ التعليم مازال يعتبر أحد شروط النجاح في الحياة، ومقياسا أساسيا لتقييم مكانة الفرد في المجتمع. ومازال التونسيون يبذلون الغالي والنفيس من أجل تفوّق أبنائهم ويعتبرون ذلك علامة من علامات نجاحهم هم كأولياء في حياتهم الشخصية وانعكاسا لمكانتهم الاجتماعية، ومظهرا من مظاهر التباهي والافتخار.

وإذا كان المجتمع يحتفي بالناجحين ويُبجّل المتفوّقين ويكرم الفائزين فإنّه كثيرا ما يظلم المتعثّرين وأولئك الذين لم يوفّقوا في تحقيق النتائج المرجوّة والمنتظرة منهم. ويتجلّى الظلم في الاعتقاد المنتشر لدى فئات كثيرة بأنّ الاخفاق المدرسي هو علامة فشل وهزيمة، و في تحويل نتائج الامتحانات من معطيات موضوعية تتطلّب التحليل والفهم والمعالجة إلى أحكام معيارية تفضي إلى وصم اجتماعي وتربوي بالخيبة يطال أعدادا هائلة من أبناء المجتمع وبناته ويلقي بهم في دائرة الإبعاد والإقصاء. ونجد صدى ذلك في المثل القاسي الذي تتداوله الأجيال والقائل «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان». والواقع أنّ ترديد مثل هذه المعاني لا يحفّز الهمّة بل يثبطها ويؤجّج مشاعر الرهبة والخوف من خوض تجربة التعلّم والاستفادة منها ويجعل منها محكًا اجتماعيا يقتل كلّ إرادة و طموح ويزرع بذور اليأس ويجعل من الفشل نتيجة لا مناص منها.

لقد أثبت علم الاجتماع منذ ما يزيد عن أربعة عقود أنّ المدرسة تعيد إنتاج التفاوت الاجتماعي وأنّ الحظوظ ليست متساوية بين الطبقات الاجتماعية في التحصيل العلمي والحصول على الشهادات ومن ثمّ الارتقاء في السُلّم الاجتماعي، وتكفي نظرة سريعة على خارطة توزيع نسب النجاح في امتحانات البكالوريا في دورتها الأولى لسنة 2019 بالبلاد التونسية للوقوف على ذلك. ولكنّ هذا المنظور لا يكفي لوحده لفهم خارطة توزيع الإخفاق المدرسي. وذلك لأنّ أبناء المناطق المحرومة اجتماعيا لا يَقلّون عن غيرهم من أبناء المناطق المحظوظة في المدارك والطاقات والاستعدادات والمؤهّلات المعرفية، ولكن تعوزهم وسائل التحصيل المعرفي وجودة وسائله وظروفه المساعدة. فالنجاح ليس خصلة كامنة وليس موهبة فطرية يتمتّع بها فرد دون آخر، كما أنّ الإخفاق ليس جبلّة أو قدرا محتوما. الأمر لا يتعلّق إذن بخارطة لتوزيع الموهبة والذكاء بقدر ما هي خارطة لتوزيع الحيف الاجتماعي.

الإخفاق المدرسي ظاهرة شائعة في كلّ المجتمعات، ولكن الاختلاف يكمن في التعاطي معها وفي التعامل مع التمثّلات الاجتماعية للنجاح والفشل. كما أنّها ظاهرة مركّبة ذات أبعاد اجتماعية وتربوية جماعية وأخرى نفسية-فردية. وعلى السياسات التربوية أن تأخذ بعين الاعتبار أن توفّقها في معالجة هذه الظاهرة شرط أساسي لتطوير ثقافة النجاح وتحقيق النتائج الإيجابية. وتكون البداية بإزالة الحكم المعياري عن الإخفاق الدراسي والكفّ عن اعتباره فشلا ذريعا وإعاقة دائمة، والنظر إليه في أبعاده المتعدّدة.

ويأتي في مقدّمة هذه الأبعاد المحيط الاجتماعي والسياسة التربوية المُتّبَعة وطبيعة المناهج المعتمدة من حيث مضامينها واتصالها بالواقع الاجتماعي ومتطلبات العصر، وإعادة النظر في الأساليب البيداغوجية ونظم التقييم والاعتماد وإسناد الشهادات. وكل ذلك رهين المشروع المجتمعي الذي نحمله ونحلم به لأجيالنا الصاعدة. ماذا نريد لأبنائنا؟ ماذا أعددنا لهم؟ كيف نرافقهم في مسيرة حياتهم المحفوفة بشتّى المخاطر والمزروعة بمختلف العقبات والصعوبات وعوامل الإحباط واليأس؟ تلك هي الأسئلة الحقيقية وتلك هي المسألة. وإنّ مسؤولية المُدرِّسين في هذا السياق لجسيمة، باعتبارهم أحد أهمّ الفاعلين في عملية التنشئة عموما وليس فقط في العملية التعليمية.. لن يجدينا نفعا أن يرمي بعضنا المسؤولية على البعض الآخر فكلّنا راع وكلّنا مسؤول عن رعيّته. ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أهمية الكفاءة البيداغوجية في معالجة الصعوبات التعليمية وتيسير الفهم وتحقيق التركيز وتحفيز الهمّة. فدور المدرّس ليس الاحاطة بالمتميّزين فقط وجعلهم في مقدّمة الفصل بل إيلاء جهد مضاعف للمتعثّرين والمتقاعسين المنزوين في الصفوف الخلفية، فمظاهر اللامبالاة بالدراسة والعزوف عنها ليس معطى فطريا يولد مع الفرد بل هو نتيجة لعوامل مختلفة. فكم من تلميذ نجيب حاصل على أعلى العلامات والمعدّلات في الابتدائي يتحوّل إلى مشاغب متقاعس لا يطيق المدرسة ولا يحفل بكتاب وكراس بمجرّد انتقاله إلى المستوى الثانوي، وكم من تلميذ خرج من المراتب الأخيرة كالسهم يحقّق الإنجاز تلو الآخر في حياته الدراسية والشخصية.

صحيح أنّ الإخفاق المدرسي تجربة مؤلمة نفسيا واجتماعيا باعتبارها تعاش كذنب أو كعاهة ولكنّها يجب أن تؤخذ كدرس تُستخلص منه العبر للمضيّ قدما. وإنّ من مسؤولية المدرّسين أن يعتبروا أنفسهم المسؤولين الأوّلين عن تحقيق نجاح تلاميذهم وطلبتهم، وأنّ من صميم وظيفتهم إصلاح الخطأ وإقالة العثرات، فالتعاطي مع طلاب العلم بمنطق الانتقائية المفرطة والتقييم الآلي الذي لا يعطي الفرصة الثانية والثالثة هو تعميق لمآسي التربية والتنشئة التي تعيشها مجتمعاتنا. فعندما يجد التلميذ نفسه خارج المدرسة معنويا وماديا فإنّه سيمضي إلى مسالك الانحراف والجنوح...والأسرة التي تعاقب أبناءها وتحقرهم بمجرّد التعثّر في تحقيق نتائج مدرسية كما ينتظرها الأولياء يساهمون في تعميق شروخ نفسية عميقة وجراح معنوية لا تندمل بسهولة وتؤثّر على باقي مسار الحياة. مجتمعنا بحاجة لمدرسة تزرع الأمل و تتيح الفرص وتبني الجسور الممدودة وتمهّد المسالك المفتوحة، حتّى لا ننتج المزيد من الشباب المصنّف في دائرة NEET (Not in Employment ,Education , or Training) أي الشباب بدون شغل ولا تعليم ولا تدريب...فتكون الخيبة العظمى والإخفاق المجتمعي الأكبر.

م.ز.
أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

بقلم عادل الأحمر

يوميات مواطن عيّاش

... كيف ما قال أولاد أحمد!

ذات يوم من أيّام الصيفية، وفي قايلة حنانية، شعلت فيها النار، وارتفع فيها المحرار، حتى تجاوز الأربعين، فلكأنّ باب جهنّم قد فتح في الحين، إذن في ذلك اليوم الشديد، لقيت العيّاش دون سابق مواعيد، فاتفقنا على أن نطفئ نارنا المشتعلة، بكؤوس مفرشكة، في ظلّ مكيّف حنون، يقيك عذاب هذا الطقس المجنون.
ولما عادت إلينا الروح بعد ركود، ودبّ فينا مجدّدا دبيب الوجود، تهنا في الحديث والحديث ذو شجون، قادنا من شؤون إلى شؤون، حتى رسونا على بحر السياسة وانتخابات البرلمان، ولا خرافة طبعا من دون بنت السلطان، فوجدت صديقي عندما تطرّقنا إلى هذا الموضوع، لا يعرف كوعا من بوع، إذ اختلطت أمامه السبل، وكلّ حزب ينادي بأنّه هو الحلّ، وفي برنامجه يكمن الأمل، وأنّه المنقذ للبلاد، وسبيل الرشاد... ولكن كيف للعيّاش أن يفرّق – كما قال لي- بين كلّ هذه الأحزاب، وكلّها تردّد نفس الأغنية في القرار وفي الجواب؟

ولمّا رأيت حيرة صديقي وتردّده ، قرّرت باسم الصداقة أن أساعده، وذلك بأن أعرض عليه من مقوّمات هذه الأحزاب بعض المشاطر، حتى يختار ما يعجبه عن قناعة وطيب خاطر. وعندما وافق العيّاش على فكرتي، بادرته دون مقدمات بأولى أسئلتي: «ما قولك يا صديقي في حزب ديني، منهجي يقيني، جماعتو تخاف ربي، وماعندها ما تخبّي، قدوتها السلف الصالح، وبه تقضى المصالح ؟»، فأجابني العيّاش على الفور : «حزب ديني ؟ هذا الأمر بصراحة لا يعنيني. فالدين دين الناس الكلّ، ولا يمكن أن يحتكره حزب أو حركة أو مجموعة عمل. ثم كيف يتّفق الدين مع السياسة ؟ فهذه كذب وتبلعيط ونفاق، والدين صدق واستقامة وأخلاق. وإذا خيّرت الدين خسرت السياسة، لأنّه سيمنعك من ارتكاب أي خساسة، قد يضطر إليها الساسة ، لتحقيق غرض مشبوه ، أو أمر مكروه. أما إذا فضّلت السياسة على الدين، فاعلم علم اليقين، أنّك معرّض للحيد عن تعاليمه السمحة في كل آن وحين، وابك وقتها على الدين !».

وإزاء احتراز صاحبي، قلت له : «طيّب ! إن لم تكن مع حزب ديني، فما رأيك إذن في حزب يساري، أفكاره ماركسية، وبرامجه ثورية، يسوّي بين الغني والفقير، وعلى درب العدالة الاجتماعية يسير، يؤمم الخيرات، ويوزّع دون حيف نتاج الثروات؟». أجاب العيّاش : «صحيح يا رفيق، أنّ أفكار اليسار لديها عندي بريق، لكنها اليوم قد تجاوزها الزمن، ولم يراجعها أصحابها عندنا بل حافظوا على نفس الدغمائيات والسنن، بينما العالم يسرع إلى مزيد من الليبيرالية، مقابل فشل التجارب الشيوعية، ولا نزال ننتظر منهم إلى هذا الحين، جوابا عن سؤال لينين : ما العمل ؟ وكيف الحلّ ؟».

قلت : «إن لم ترض بهذا ولا بذاك لحكم البلاد، فما قولك إذن في حزب ليبيرالي يحرر الاقتصاد، ويشجّع استثمار الأفراد، فتكثر المشاريع، ويتحقّق نموّ سريع، وتدور عجلة التشغيل باستمرار، ويعمّ الرخاء والازدهار ؟». فأجابني العيّاش : «هذه الجنّة الليبيرالية - ولو فيها بقلاوة - لا تغريني يا شيخ، لأنّ الماء فيها مسيّب ع البطيخ، وحوت ياكل حوت، والزوالي فيها يموت، ويرضى بالفتات، بينما تنعم فئات موسرة بجلّ الخيرات».

وعندما لاحظت عدم اقتناعه مثل حالي،بالاتجاه الليبيرالي،قلت للعيّاش:»وهل ستعترض أيضا على حزب ديمقراطي اشتراكي،يوفق بين مبادرة المال الخاص،والإبقاء على دور الدولة الاجتماعي في بعض مجالات الاختصاص ؟». فأجابني صاحبي هازئا: «هل تقول اشتراكي «كقولك أمّي تراكي»، على رأي الشاعر الحبيب الزناد، عندما عمّ التعاضد أرجاء البلاد ؟ أم هي اشتراكية محلولة في ماء الرأسمالية ؟ صديقي ، أنا لا أومن بالحلول التوفيقية، لأن التوفيق هنا تلفيق ، ويا شفيق فيق». ولما أعيتني مع العيّاش الحيلة ، ولم تنفع معه أي وسيلة، قلت له: «لم يبق لك يا صديقي العنيد، إلا حلّ وحيد»، قال : «وما هو ؟». قلت : «حزب من أحزاب النزعة اللائيكية الحداثية، الوسطية التقدمية، ففيها مجال واسع للأخذ من كل شيء بطرف، كما قال عمك الجاحظ المهفّ». فضحك العيّاش حتى استلقى ثم قال : «هذا ليس حزبا، هذا شكوشكة نابلية، أو قل إقامة إسبانية، يجد فيها الحريف كل ما يأخذه معه من طعام إن كانت له شهية ... ولا فائدة يا صاحبي في إرهاق نفسك بمزيد الطرح والتفسير والتعليل، فقد قرّ قراري الآن ولن يكون له بديل». فقلت : «وما اختيارك ؟»، فأجاب: «سأعمل بنصيحة شاعرنا أولاد أحمد، إذ قال بكلّ حزم وجدّ : «صوت لنفسك في اللحظة الحاسمة». ولذلك سأضع في الصندوق ، ورقة مكتوب عليها م اللوطة ومن فوق : محمد بن عبد الله العيّاش، وكان ألغـاو هالصوت راو ما يقلقناش».

ع.ل.

VERS DE NOUVELLES PERSPECTIVES

BH

AFRICAN BANKER AWARDS 2019

Meilleure Banque Régionale
d'Afrique du Nord de l'Année 2019

www.bhbank.tn

BH بنك BANK

ليـــزار وبـــالـــتـــــازار

مقـاربة جديدة للإبداع الرقمي في تونس

تحقق المؤسّسات الناشئة التونسية نجاحا متواصلا على الصعيد الدولي ، لا سيما بفضل «المهن الجديدة» التي تعد مكوّنا لقطاع الاتصالات.

التقينا مؤسّسي وكالة الاتصالات، ليزار و بالتازار، صوفي ألكسندرا عياشي وأيوب بن يونس. وهي وكالة موجودة منذ أكثر من خمس سنوات في باريس واستقرّت منذ أكثر من عامين في تونس، فرضت نفسها في السوق موطّنة منهجًا جديدًا في مجال الاتصالات الرقمية. وكان معهما هذا الحوار:

كيف تقدّم لنا وكالة ليزار و بالتازار، وما الذي تتميّز به عن وكالات الاتصال الأخرى؟

أيوب بن يونس: الوكالة التي أسسناها تختلف تمامًا عن الوكالات الأخرى في عدة نقاط. اخترنا شكلاً من أشكال الإدارة الحديثة. يتسم بتوخّي التطورات الجديدة والبحث الدائم عن الفرص المتاحة، خاصّة ونحن نعمل في قطاع يتطلب تفانيا متواصلا ويتجدّد باستمرار. لقد تم إنشاء الوكالة في باريس، و هي تضطلع بإعداد استراتيجيات متعددة القنوات للحرفاء و المؤسسات. وحرصت منذ عامين، على إنشاء فرع في تونس، ونحن ملتزمون بالاستثمار فيه، لأننا شعرنا أن المنعطف الرقمي متواصل. سعينا أولاً لدراسة السوق التونسيّة، و تحديد مجالاتها المختلفة وتدريب فريق شاب ومختص.

هل ساعدتك خبرتك الفرنسية على النجاح في تونس؟

صوفي الكسندرا عياشي: نعم ولا. نعم ، لأننا تلقينا تكوينا في مدارس الاتصال المختصة، واكتسبنا الكثير من الدراية وإتقان الأدوات من خلال خبرتنا المهنية. ومع ذلك، لا بدّ من الاعتراف بأنّ السوق التونسية هي خصوصيّة للغاية. ذلك أنّ الرموز مختلفة والعقليات أيضا.
أيوب بن يونس: تجربتنا الأجنبية ، الباريسية، وشخصيا الكندية مفيدة لتقديم الإضافة في تونس. أنا أفكر ، على سبيل المثال ، في تقنيات الإدارة التي نحرص على إقرارها في وكالتنا. نقوم بتدريب فرقنا بشكل منتظم حتى يظلّ الجميع على مستوى رفيع من الحرفيّة. نزرع روحًا عائلية حقيقية، بعد العمل كل أسبوع ، لحظات من الاسترخاء ، وساعات عمل مرنة، من أجل الحفاظ على وحدة فريقنا وجعل العمل أكثر متعة وأكثر فعالية.

وماذا عن حرفائكم ، وما هي المجالات التي تعملونا عليها؟

صوفي ألكسندرا عياشي: نعمل على تطوير علامات تجارية مختلفة، لا سيّما في قطاع مستحضرات التجميل. لقد قمنا بحملات إشهاريّة متميّزة في هذا الميدان التي دفعت مجموعة الكيلاني إلى الثقة بنا لتطوير سمعة بعض العلامات التجارية.

بعد ذلك، عملنا على التوجه إلى قطاعات أخرى مثل السياحة والتعليم. اليوم ، لدينا أيضًا العديد من العلامات التجارية الاستهلاكية التونسية ومن بين أهم حرفائنا نجد مجموعة الشركة التونسية لصناعة المشروبات (SFBT).

أخيرًا، وامتدادًا لأنشطة ليزار و بالتازار في باريس، تخصّصنا في مرافقة الشركات الأجنبية الرّاغبة في الانتصاب بتونس والتعامل مع أسواقها.

تحققون نتائج جيّدة في وقت وجيز، كيف تفسّرون ذلك؟

أيوب بن يونس: نجحنا في جذب حرفاء طموحين ولديهم ثقة في خبرتنا وبفضلهم، تمكنا من القيام بحملات رائعة للغاية.

ينعكس أداؤنا أيضًا في منظور فريقنا، الذي تمّ تدريبه، والذي يتميّز بالكفاءة ويتحلّى باليقظة الذهنيّة.

تحقيق نتائج متميّزة، ترافقه إرادة القيام دائما بما هوأفضل.

لماذا لم تتنافس وكالتكم للحصول على جوائز ؟

صوفي الكسندرا عياشي: لقد كان قرارًا اتخذناه في البداية. كان قبل كل شيء اختبار السوق، لفهم الخصائص ، لإيلاء الكثير من الاهتمام لمختلف الحرفاء.

كان التحدي الأكبر هو تدريب فريق شاب كفء ، لفرض رموز «مختلفة» داخل الوكالة. مسألة الجوائز ضرورية لإشعاع وكالتنا، ولكن أولاً وقبل كل شيء ، من المهم التأكد من أن لديك قاعدة صلبة وجيدة.

ما هي التحديات القادمة في تونس؟

أيوب بن يونس: لدينا بعض المشاريع في طور الإنجاز سنطلقها العام المقبل أو في الخريف إذا تمكنا من استكمال المستلزمات هذا الصيف. لدينا الكثير من الطموح والسوق التونسية لديها إمكانات كبيرة، إلى جانب أنها تفتح العديد من الأبواب على إفريقيا ...

مجمّع سيف

دور ريادي في قطاع الصحّة على الصّعيدين الوطني والإفريقي

■ السيّد رمزي الضّندي المدير العام لمجمّع سيف

أُنشئت الشّركة العربيّة للصّناعات الصّيدليّة (سيف) سنة 1992، ويعود الفضل في ذلك بالأساس إلى استثمارات صندوق «أكديما» (الشّركة العربيّة لصناعة الأدوية والمعدّات الطبيّة) الذّي يُساهم في تمويله ستّة عشر بلدا عربيّا من بينها تونس.

واليوم أصبحت شركة سيف مجمّعا يضمّ أربع وحدات وشركة متعدّدة الجنسيّات تنشط في القارة الإفريقيّة.

سيف تونس

سيف هي واحدة من أكبر المخابر الصّيدلانيّة وأوّل مصنّع لأدوية القلب والشّرايين وللمضادّات الحيويّة الجنيسة في تونس.

وسجّلت سيف خلال السّنوات الثّلاث الأخيرة أفضل تطوّر في رقم المعاملات في سوق الأدوية في تونس

وقد دفعت هذه النّتائج المشجّعة الأطراف المساهمة في سيف إلى تمكين الشّركة من الوسائل التّي تخوّل لها لعب الأدوار الأولى في صناعة الأدوية في تونس وفي افريقيا.

وتمتلك سيف تونس اليوم مركّبا صناعيا مكوّنا من خمسة مصانع تنتج تشكيلة واسعة من الأدوية: مضادّات حيويّة، مسكّنات ، مضادّات الالتهاب، مضادّات السّكّري ، أدوية أمراض القلب والأمراض النّفسيّة إلخ ... وعديد المستحضرات الطبيّة: محقونات، مستحضرات جافّة وسائلة، كبسولات ناعمة، مساحيق مستنشقة، محاليل للعيون ...

وهي أوّل مخبر صّيدلاني تونسي، متحصّل على شهادة إيزو 26000 في مجال المسؤوليّة الاجتماعيّة والتّنمية المستدامة للمنظّمات.

تُشغّل سيف 600 شخص ، أكثر من 50 % منهم من الإطارات العليا (أطبّاء – صيادلة – مهندسون – متصرّفون ...) وستتدبّ قريبا 150 إطارا لتلبية حاجيات إحداثاتها الجديدة.

مصنع سيف الجديد وهو الخامس من نوعه

دخل مصنع جديد « سيف» مؤخّرا حيّز الإنتاج ، وقد تمّ تدشين مرحلته الثّانية يوم 17 جوان 2019.

وبلغ حجم استثماراته 50 مليون دينار. وسيُنتج هذا المصنع عديد المستحضرات الطبيّة بعضها يُصنّع

■ المركّب الصّناعي سيف في بوربيع (ولاية بنعروس)

■ تدشين الوحدة الجديدة لإنتاج الحقن ومنتوجات طب العيون المعقّمة

■ جزء من تجهيزات الوحدة الجديدة سيف

لأوّل مرّة في تونس، وهي لا تزال إلى الآن تستورد وتُدعّم من قبل الصيدليّة المركزيّة للبلاد التّونسيّة مثل الكبسولات النّاعمة والأقراص ثنائيّة الطّبقة والمساحيق المستنشقة وأدوية العيون المعقّمة.

سيف إيفوار

يهدف المصنع الجديد سيف إيفوار الذّي سيدخل حيّز الإنتاج سنة 2020 مستفيدا من استثمارات أوّليّة تفوق الـ 20 مليون دولار أمريكي إلى تزويد السّوق الإيفواريّة بالأدوية الأساسيّة وتحسين نسبة تغطية الكوت ديفوار بالأدوية المصنّعة محليّا.

وستكون سيف إيفوار كذلك منصّة لتصدير الأدوية نحو كامل منطقة إفريقيا الغربيّة في مرحلة أولى ونحو كامل منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء في مرحلة لاحقة.

جائزة فيبا

كلّ هذه الاستثمارات التّي قامت بها سيف مكّنتها من الحصول على جائزة فيبا التّي مُنحت إليها بمناسبة الدّورة 18 لمنتدى تونس للاستثمار المنعقد بالعاصمة التّونسيّة.

ويُسند هذا التّتويج إلى «المؤسّسات التّي تميّزت إمّا بنتائج اقتصاديّة جيّدة أو أبدت قدرة كبيرة ومرونة على تجاوز صعوبات ظرفيّة»

البحث الطّبّي

أحدثت سيف منذ 2007 جائزة «علي بوسنينة» للبحث في طبّ القلب وجراحة القلب والشّرايين بالشّراكة مع الجمعيّة التّونسيّة لطبّ القلب وجراحة القلب والشّرايين STCCCV لتحفيز البحث العلميّ في مجال الطّبّ في تونس.

وتُكرّم هذه الجائزة الأستاذ علي بوسنينة أحد روّاد طبّ القلب في تونس.

أكاديميّة سيف (Saiph Academy)

نحو تكوين طبّيّ مستمرّ متاح لكلّ الأطبّاء

من أجل جعل التّكوين الطبّيّ المستمرّ متاحا لكلّ الأطبّاء التّونسيّين أطلقت سيف سنة 2017 عملية أكاديميّة سيف، وقد تمّ إنشاء منصّة تقنيّة لهذا الغرض تُمكّن من بثّ محتويات التّكوين على نحو مباشر وتُتيح للأطبّاء المرتبطين بها التفاعل الفوري مع الحاضرين.

سيف فاميليا

الالتزام المواطني لسيف

تُنظّم سيف في إطار أنشطتها المواطنيّة تدخّلات اجتماعيّة لفائدة الفئات والجهات المستحقّة، ويُشرف على هذه البرامج هيكل مختصّ يحمل اسم «سيف فاميليا». وتتمثّل تلك التّدخّلات التّي تجرى بالتّعاون مع شركاء سيف من الأسلاك الطبيّة والصّيدلانيّة في تنظيم قوافل صحيّة وصيانة المدارس وتجهيزها والتّكفّل بالأنشطة الاجتماعيّة والثّقافيّة في مراكز العلاج المخصّصة للأطفال ومؤسّسات إيواء المسنين.

التّأسيس: 1992

•أوّل مُصنّع لأدوية القلب والشّرايين والمضادّات الحيويّة الجنيسة في تونس
•72 مليون دينار رقم معاملات (2018)
•28 % نسبة تطوّر رقم المعاملات

5 مصانع

•مستحضرات معقّمة
•السّيفالوسبورين
•بينيسيلين
•مستحضرات جافّة وسائلة
•كبسولات ناعمة وأقراص ثنائيّة الطّبقة ، مسحوق مستنشق ، موادّ محقونة وموادّ معقّمة للعيون
600 موطن شغل

المساهمون

•الشّركة العربيّة لصناعات الأدوية والمعدّات الطبيّة (Acdima)
•الدولة التّونسيّة
•مستثمرون آخرون

مواقع المصانع

•بوربيع ، طريق زغوان ولاية بنعروس
•المنطقة الحرّة، أبيدجان كوت ديفوار

www.saiph.com.tn

■ زيارة التّجهيزات الصّناعيّة الجديدة لسيف من طرف المسؤولين عن الصحّة في تونس

اليمن والحرب العبثية التي لا تريد أن تضع أوزارها

• بقلم محمد إبراهيم الحصايري

مرّةً أخرى أعود إلى الكتابة عن الحرب في اليمن وعليه...ولهذه العودة داعيان اثنان: أوّلهما استرعاء الانتباه، من جديد، إلى الكارثة الإنسانية التي ما فتئ اليمن وشعبه يعيشانها من جرّاء هذه الحرب العبثية التي دخلت، في شهر مارس الماضي، سنتها الخامسة، أمّا ثانيهما فهو تسليط الضوء على جديد هذه الحرب، وأعني بجديدها ظهور طائرات جماعة «أنصار الله» المسيّرة في سماء المنطقة، وتمكّنها من ضرب مواقع حيوية في العمقين السعودي والإماراتي ممّا شكّل، حسب الملاحظين، حدثا لافتا يستحقّ التوقّف عنده.

إنّ بعض الملاحظين يرون أنّ هذا الجديد يكتسي أهميّة استراتيجية لا جدال فيها، ذلك أنّه يعني أنّ الحوثيين بصدد تغيير قواعد «الكرّ والفرّ»، وأنّهم باتوا قادرين على إلحاق الأذى بزعيمتي التحالف العربي الذي يحاربهم، في عقر دارهما، وعلى تهديد أمنهما ومصالحهما الاقتصادية تهديدا حقيقيا... وفي هذا السياق يقول الخبراء في المجال العسكري إنّ الحوثيين «يمتلكون ترسانة عسكرية كبيرة من الطائرات المسيّرة ذات الأشكال والأحجام المختلفة، التي يمكنها أن تحلّق مئات الكيلومترات وهي محمّلة بالكثير من المواد المتفجّرة، وتستطيع أن تحدّد الأهداف وأن تصيبها بدقّة كبيرة»، وممّا يؤكد ذلك أنّهم أعلنوا أنّهم يخطّطون لمهاجمة 300 هدف عسكري حيوي في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة واليمن، بواسطة هذا السلاح الجديد الذي استطاع، رغم صغره وانخفاض كلفته، أن يثير قلق الرياض وأبو ظبي خاصّة وأنّه قد يستخدم مستقبلا في ضرب بناهما التحتية ومنها خاصّة، بالإضافة الى المنشآت النفطية، محطّات الاتصالات، وتوليد الكهرباء ومضخّات المياه... وهو ما ستكون له تداعياته الخطيرة على الاستقرار في البلدين، وعلى سير حياتهما الاقتصادية حيث أنّه سيمسّ من صورتهما كشريكين نفطيين مستقرّين للاقتصاد العالمي. وعلى هذا الأساس، يبدو أن الهدف الأساسي من هجمات الحوثيين الأخيرة ومن تهديدهم بتكرارها مستقبلا، هو دفع الرياض إلى أن تدرك أنّ لا خيار أمامها سوى الركون إلى طاولة التفاوض للخروج من هذه الحرب العبثية التي أثبتت تعاقب السنوات أنّها لا يمكن أن تضع أوزارها، ما لم يكن أحد الأطراف المتنازعة قادرا على حسمها، أو ما لم تكن جهة دولية أو أممية قادرة على الضغط من أجل وقفها... ولعلّه ممّا يغذّي الأمل في ذلك عند الحوثيين أنّ بعض الدول العربية المشاركة في التحالف آثرت الانسحاب منه، كما أنّ آخر الأنباء تفيد بأنّ الإمارات العربية المتحدة، وهي إحدى زعيمتي التحالف، قامت أوهي تقوم بتقليص حجم مشاركتها في عملياته، نتيجة توالي الضربات الموجعة التي تلقّتها من الحوثيين، وإذا استمرّ هذا الوضع، فإنّ المملكة العربية السعودية لن تلبث أن تجد نفسها وحيدة في مواجهة الهجمات الحوثية المتزايدة يوما بعد آخر...

غير أنّ الجدير بالملاحظة أنّ محلّلين آخرين يرون، على العكس من ذلك، أنّ سلاح الطائرات المسيّرة مهما كانت خطورته وأهميته ليس من شأنه أن يغيّر مسار الحرب بصورة جذرية، فهو لن يكون كافيا لإجبار المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة على الجلوس مع جماعة «أنصار الله» إلى مائدة المفاوضات، وذلك، في رأيهم، للأسباب الكبرى التالية:

1 - أنّ استمرار الحرب ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لا سيما في هذه المرحلة التي تصاعد فيها التوتّر بين إيران وخصومها، لأنّه قد يستخدم كقادح من قوادح المواجهة المحتملة مع طهران، ولذلك فقد كان من اللافت، بمجرّد شنّ الهجمات الحوثية بالطائرات المسيّرة، المسارعة إلى اتهام إيران بالوقوف وراءها، إمّا من خلال تزويد الحوثيين بهذه الطائرات أو تدريبهم على استخدامها. ومعلوم أنّ التحالف العربي ما فتئ يؤكّد أنّ التدخّل الإيراني في اليمن له أبعاد جيوسياسية وآثار استراتيجية ترتبط بمشروع إيران للهيمنة على المنطقة، وأنّ الحوثيين ليسوا سوى أداة من أدوات تنفيذ هذا المشروع الذي يستهدف محاصرة دول الخليج، وبالأخصّ المملكة العربية السعودية... وما دامت هذه الهواجس الخليجية قائمة فإنّ الحرب ستتواصل، ولن يكون بالإمكان إيقافها الاّ إذا عرفت العلاقات الخليجية الإيرانية انفراجة ما، قد تدفع إليها بقية عقل في التعاطي مع الوضع المتوتّر الراهن، وتفرضها ضرورة تلافي الحرب المحتملة التي يمكن أن تزلزل كيانها.

2 - أنّ نوازع الشوفينية والعناد والمكابرة التي ما تزال تحرّك بعض أطراف النزاع لن تسمح بوقف الحرب، بل إنّ هناك من يرى أنّ هجمات الحوثيين الأخيرة ستؤدّي إلى تأجيج نار الحرب في اليمن وليس العكس. وقد ظهر ذلك بالفعل في نظرة الرياض إلى هذه الهجمات التي اعتبرتها «عديمة الأثر في ساحة المعركة»، كما ظهر في ردّة فعل التحالف عليها حيث قام في اليوم التالي بتوجيه ضربات جوية انتقامية على صنعاء، سقط ضحيّتها العديد من المدنيين، بمن فيهم الأطفال، بين قتلى وجرحى وذلك بالرغم من أنّ التحالف أكّد أنّ ضرباته استهدفت مواقع ذات طابع عسكري، وأنّه تمّ تحذير السكان لإخلائها قبل ضربها... على أنّ الخطير في الأمر، هو أنّ دول التحالف لم تدرك بعد أنّ الحرب على اليمن مجازفة لم يكن من الحكمة التورّط فيها، بل إنّها ترى أنّ هذه الحرب شرّ لا بدّ منه، وهذا ما يمكن أن نقرأه في أدبيات بعض المدافعين عن هذه الحرب حيث يقول المحامي السعودي المتخصّص في القانون الدستوري وحقوق الإنسان، ورئيس منظمة العدالة الدولية أحمد بن عثمان التويجري في مقال نشره في 4 أكتوبر 2018: «كان من الطبيعي، بل ومن الواجب، أن تتصدى المملكة ومعها قوى التحالف لجرائم وتجاوزات الحوثيين، وبخاصّة بعد طلب الحكومة اليمنية الشرعية ذلك. وما من شكّ في أنّ تدخّل القوات السعودية والتحالف في اليمن كان تدخّلاً مشروعاً في ميزان القانون الدولي، وقبل ذلك وأهمّ منه تؤيّده الحاجة الواقعية الملحّة والمصالح العليا لليمن ودول الجوار. إنّ ممّا لا خلاف عليه أنّ الحرب شرٌ بكلّ المقاييس، وأنّ حرب اليمن كانت ولا تزال شرّاً كبيراً، ولكنها في الوقت نفسه كانت، وللأسف الشديد، حرباً ضرورية بشكل ملحّ لحماية اليمن ومقدراته، ولصيانة مستقبل أجياله، وللدفاع عن دول الجوار وأمنها واستقرارها. وغنيّ عن القول إنّ الشرّ الأعظم يدفع بالشرّ الأدنى إذا لزم الأمر، وإنّ المفسدة الكبرى تُدرأ بالمفسدة الصغرى، وهذا أصل ثابت في الشريعة الإسلامية، ولا خلاف عليه في كلّ القوانين والأعراف الإنسانية المعتبرة».

3 - أنّ الرهان الاقتصادي على الحرب واستمرارها رهان ضخم من قبل تجار السلاح الذين لا يريدون لمبيعاتهم من الأسلحة لأطراف التحالف أن تتوقّف. وهنا ينبغي أن نلاحظ أنّ تقريرا أعدّه معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام «سيري: SIPRI» عن عمليات بيع وشراء السلاح بين عامي 2014 و2018، أكّد أنّ المملكة العربية السعودية احتلّت المركز الأول فيما احتلت الإمارات العربية المتحدة المركز السابع عالمياً في قائمة مورّدي السلاح. ويدقّق المعهد أنّ ثلاثة من كلّ خمسة أسلحة تمتلكها قوّات التحالف مصدرها مصانع السلاح الأمريكية. ومن ناحية أخرى تُشير معلومات مرصد المساعدة الأمنية (SAM) وهو مركز أبحاث أمريكي إلى أنّ الولايات المتحدة الأمريكية عقدت صفقات قيمتها 68.2 مليار دولار، مقابل أسلحة ومتفجّرات وأنظمة أسلحة وتدريبات عسكرية مع المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، منذ بداية حربهما مع اليمن...

وقد أكّدت وزارة الخارجية الأمريكية أنّ هذا الرقم قريب من القيمة الإجمالية لمبيعات الأسلحة إلى التحالف منذ مارس 2015 حيث أنّها بلغت حسب، إحصاءاتها، حوالي 67.4 مليار دولار. وللإشارة فقط، فإنّ هذا المبلغ الذي تمّ إنفاقه على شراء الأسلحة، يساوي 17 ضعفا لمبلغ الأربعة مليارات دولار التي ناشدت منظمة الأمم المتحدة العالم جمعه لتقديم المساعدات الإنسانية اللازمة للشعب اليمني بعنوان سنة 2019. ومع أنّ القناعة تامّة بأنّ التوقّف عن تزويد أطراف النزاع بالأسلحة سيساعد على وقف الحرب، فإنّ ذلك لا يبدو واردا حتّى اليوم، رغم جميع المحاولات التي بذلت من أجل ذلك خاصّة في أعقاب قتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي الذي شكّل مناسبة للفت الانتباه إلى الوضع اللاّإنساني في اليمن والى انتقاد استمرار الولايات المتحدة الأمريكية في بيع الأسلحة لدول التحالف العربي.

ولئن أعلنت بعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي (على غرار هولندا وبلجيكا واليونان والنرويج وفنلندا والدانمرك) تعليق عمليات بيع ونقل الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، جزئيا أو كليّا، فإنّ أكبر مزوّدي الدولتين بالأسلحة (أي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا...) واصلوا، رغم جميع الاحتجاجات والضغوط البرلمانية والحقوقية والشعبية وغيرها إمدادهما بالسلاح دون انقطاع. وفيما يتعلّق بالولايات المتحدة بالذات، ينبغي التذكير بأنّ إدارة الرئيس باراك أوباما أبرمت، خلال السنوات الثماني التي قضّاها في البيت الأبيض، صفقات أسلحة بقيمة 117 مليار دولار، مع المملكة العربية السعودية، غير أنّها قامت، قبيل انتهاء فترته الرئاسية الثانية، بتعليق صفقات بيع الذخائر الموجّهة بدقّة بسبب مخاوف تتعلّق بحقوق الإنسان، بيد أنّ الرئيس دونالد ترامب ألغى هذا التعليق، وقد كان ذلك طبيعيا من رئيس يخوض غمار السياسة الدولية بمنطق رجل أعمال بلا مبادئ يزن العلاقات مع بقية دول العالم بميزان الربح والخسارة، لا غير...

لكلّ هذه الأسباب، وتأسيسا عليها، فإنّ الغالب على الظنّ أنّ استخدام سلاح الطائرات المسيّرة لن يكون كافيا، حتّى وإن عاضدته الصواريخ الباليستية الجديدة، لتقريب ساعة انتهاء الحرب في اليمن وعليه، بل إنّ هذه الحرب مرشّحة لأن تواصل الانتقال من سيّء إلى أسوأ، وأن مأساة الشعب اليمني التي اعتبرها الأمين العام للأمم المتحدة «أسوأ أزمة إنسانية من صنع الإنسان في عصرنا» ووصفتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر بأنّها «الأزمة الإنسانية الأكبر في العالم» مرشّحة للاستمرار والتفاقم... والخلاصة هي أنّ نهاية الحرب والمأساة في اليمن لن تتنزّل من السماء بواسطة الطائرات بطيارين او بلا طيارين، وإنّما ينبغي أن تنبثق من الأرض وأن تتحقّق عليها، فهل ستدرك الأطراف المتنازعة هذه الحقيقة؟

م.ا.ح

صعود اليمين المتطرّف

خطر داهم وانعكاسات سلبيّة على سياسات الاتحاد الأوروبي ومصالح جنوب المتوسّط

• بقلم محمد لسير

أثار موضوع تعريف اليمين المتطرّف نقاشات طويلة خلال العشريتين الماضيتين إلاّ أنّها لم تفض إلى توافق في الآراء حول هذا التيّار السياسي الخطير الذي بات يعرف بـ«الطاعون البني». فهو يذكرنا «بمآسي» الفاشية والنّازية التي طبعت ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي رغم سعيه المتواصل إلى التّأقلم مع متطلبات الحاضر. فأفكاره لازالت عنصريّة ونخبويّة مناهضة للتعدّديّة الثّقافيّة وكافة أشكال الكونيّة وتكنّ الحقد للإسلام وترفض الهجرة بوازع حماية الهويّة.

عادت «الفاشية» بشكل أو بآخر إلى الساحة السياسيّة الأوروبيّة رغم عدم وجود أحزاب جماهيريّة كبرى يمكن مقارنتها بالحزب القومي الاشتراكي الألماني في ثلاثينات القرن الماضي. وهناك شريحة هامّة من اليمين المتطرّف في أوروبا لها حاضنة فاشيّة أو نازيّة جديدة مباشرة من ضمنها حزب الفجر الذهبي اليوناني «Aube Dorée» والحركة من أجل مجر أفضل «Jobbik» و«SVOBODA» و«Secteur Droite» الأكرانيين وكذلك التجمّع الوطني الفرنسي «Rassemblement National» وحزب الحرية النمساوي «F.P.O» و«Vlams Belang» البلجيكي وحركة «PEGIDA» الألمانيّة (الوطنيون الأوروبيون ضدّ أسلمة الغرب) التي مهّدت الطريق لبروز حزب البديل من أجل ألمانيا «AFD» المناهض بشدّة للهجرة والذي يعدّ حاليًا أكبر حزب معارض في ألمانيا ... وغيرها من الحركات والأحزاب المتطرّفة حيث كانت لمؤسّسيها علاقات وطيدة بالفاشيّة التاريخيّة وبالأوساط المتعاونة مع النّازيين.

وفي بلدان أخرى مثل هولندا وسويسرا وبريطانيا والدّانمارك لا ترتبط أحزاب اليمين المتطرّف بأصول فاشيّة لكنّها مع ذلك تتقاسم مع الأحزاب المذكورة أعلاه العنصريّة وكره الأجانب والخوف من الإسلام ومهما كانت الخصوصيّات التي تجمع أو تفرّق هذه الحركات والأحزاب فإنّ السّمة الأساسيّة بينها هي القدرة على الانتشار وفرض أجنداتها على السّاحة السياسيّة وهو ما أجبر الأحزاب التقليديّة على تعديل خطابها ومراجعة سياساتها المتعلّقة أساسا بالهجرة واللّجوء والإقامة والحريّات الدينيّة. وتشير الدّراسات حول اليمين المتطرّف إلى أنّ بلدانا أوروبيّة قليلة بقيت بعيدة عن هذا التيّار العنصري الحاقد وهي قبرص ولكسمبورغ ومالطا وإيرلندا رغم معاناة بعضها من الأزمة الماليّة لسنة 2008 التي كانت من ضمن العوامل الأساسيّة في صعود اليمين المتطرّف إلى جانب أحداث 11 سبتمبر 2001 وثورات الربيع العربي.

1 - الانتخابات الأوروبيّة المجراة في ماي 2019 والمشهد السياسي الجديد:

حقّق اليمين المتطرّف نجاحا كبيرا في الانتخابات الأوروبيّة الأخيرة وضاعف عدد مقاعده في البرلمان الأوروبي مقارنة بانتخابات 2014 (من 37 إلى 73 مقعدا) ما أدرجه في المرتبة الخامسة ضمن المجموعات البرلمانيّة السّبع، قبل المحافظين السياديين واليسار الموحّد وبعد الخُضْر مباشرة (74 مقعدا). إلاّ أنّ أعداد النّواب المناهضين والمشكّكين في الاتحاد الأوروبي والسياديّين الموالين لبعض من أفكارهم تناهز مجتمعة قرابة 180 نائبا أي ما يعادل ربع أعضاء البرلمان تقريبا وهو ما يبوّؤهم لاحتلال الموقع الثاني بعد الحزب الشعبي الأوروبي « PPE » في صورة انضمامهم إلى مجموعة واحدة. إلاّ أنّ ذلك لم يعد ممكنا بعد فشل المحاولات التي قام بها أكبر الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة: حزب الرابطة الإيطالي بقيادة زعيمه Matteo Salvini وحزب التجمّع الوطني الفرنسي بقيادة Marine Le Pen.

إلى جانب هذين الحزبين الذين يعتبران الدّعامة الأساسيّة لمجموعة «هويّة وديمقراطيّة» في البرلمان الأوروبي، يجب التّذكير بما حقّقته أحزاب أخرى تحسب على التيّار المتطرّف لكنّها لا تنتمي بالضرورة إلى هذه المجموعة مثل حزب «BREXIT» البريطاني الذي حصد أكثر من 40 % من أصوات النّاخبين وحزب «FIDESZ» المجري الذي ناهز نسبة 52 % من الأصوات وحركة 5 نجوم الإيطاليّة، حليفة الرابطة في الائتلاف الحكومي الإيطالي، التي تجاوزت نسبة التصويت لصالحها 17%. وهناك أحزاب يمينيّة أخرى مثل حزب الحرية النّمساوي «FPO» شريك حزب المحافظين في الحكم، المعروف برفضه الشّديد للإسلام والذي حقّق نسبة 17,2 % في الانتخابات الأخيرة رغم تورّطه في فضيحة ماليّة مع أطراف روسيّة أدّت إلى سقوط الائتلاف الحكومي. كما تجدر الإشارة إلى حزب «P.V.V» الهولندي الذي شدّد زعيمه Geert Wilders على ضرورة منع بيع كتب القرآن الكريم في هولندا وناهض بشدّة الهجرة وطالب بالتخفيض الأقصى في أعداد المهاجرين والخروج من الاتحاد الأوروبي وأصبح بذلك القوّة السياسيّة الثانية في البرلمان الهولندي. وهناك أحزاب أخرى عديدة تتبنّى الفكر المتطرّف حقّقت مراتب متقدّمة في أوروبا الشرقيّة وفي البلدان السكندينافيّة وأصبحت شريكة في الحكم (سلوفاكيا، فنلندا).

أمام تقهقر الأحزاب التقليديّة (اليمين واليسار) بات من الواضح بروز توازنات جديدة قوامها الليبراليّة من جانب والقوميّة من جانب آخر وهو ما يظهر بوضوح على الساحة الفرنسيّة حيث يدور الصّراع على السلطة بين الليبرالي Macron والقوميّة Le Pen .

2 - ما تأثير صعود اليمين المتطرّف على سياسات الاتحاد الأوروبي وبلدان جنوب المتوسّط ؟

يكمن الخطر الأساسي في وصول أحزاب اليمين المتطرّف إلى الحكم وهو ما حصل فعلا في إيطاليا بعد تشكّل الائتلاف الذي جمع الرابطة بـ«حركة 5 نجوم» وكذلك في النمسا من خلال انضمام حزب «FPO» (الحرية) إلى محافظي Sebastian Kurz وفي فنلندا حيث دخل حزب «الفنلنديون الأصليون» : les vrais Finlandais الائتلاف الحكومي وكذلك في سلوفاكيا وفي المجر رغم خصوصيات حزب « FIDESZ».

وتتمركز عديد الأحزاب اليمينية المتطرّفة الأخرى في المرتبة الثانية أو الثالثة في انتظار الوصول إلى الحكم. وهناك عدّة عوامل إقليمية ودولية تساعد على تقدّم الحركات المتطرفة من ضمنها الأوضاع الاقتصادية والبطالة والهجرة والخوف من الإسلام والإرهاب والحروب في الجوار المتوسطي وكلّها عناصر أساسية في خطاب هذه الحركات وتستقطب الرأي العام الأوروبي. وقد يؤدّي تفاقم هذه العوامل إلى تحوّلات كبرى في الموازين السياسية في أوروبا ورغم وجود تفاهمات سياسية في الدول الأوروبية تقضي بعدم التعاون مع ما يسمى بـ«الطاعون البني» المناهض للقيم الأوروبية إلاّ أنّ هذه التفاهمات بدأت تسقط←

AFRICAN ECONOMIC FORUM
10/11 SEPTEMBRE 2019 - TUNIS
CREATING MUTUAL WEALTH

La deuxième édition de l' « African Economic Forum » apportera sa pierre à l'édifice de la coopération Sud-Sud dans un esprit gagnant-gagnant et constituera une plateforme panafricaine pour définir ensemble les créneaux d'un développement économique et social durable en Afrique.

Organisateur
Ministère du Commerce

Partenaires
Ministère des Affaires Etrangères
TUNISIA EXPORT CEPEX
Ecoutlaboration avec :
giz
MAZARS
MEDIANET

www.aeftunisia.com

← مع وصول بعض هذه الأحزاب إلى مواقع القرار. وهناك خطر توحيد المواقف لدى اليمين المتطرّف بين المشكّكين في البناء الاتحادي المطالبين بمغادرته والذين يريدون البقاء فيه ومحاولة تغييره من الداخل طبقا لمفاهيمهم وقد شاهدنا في الآونة الأخيرة تطوّرا في مواقف التجمّع الوطني لـــMarine Le Pen الذي تخلّص من العناصر الأكثر تطرّفا في قيادته وعدل عن الدعوة إلى الخروج من الاتحاد واعتمد سياسات ضدّ شيطنة الحزب بغرض الاندراج في مسار جديد يضفي الشرعية عليه ويلمّع صورته لدى الرأي العام.

وقد ساهمت تجربة الـــ«Brexit» المريرة في هذا التحوّل حيث تبيّن الآن أنّه من المكلف جدّا النسج على منوال المملكة المتّحدة لتحقيق ما سمي بـــ«Frexit» (خـروج فرنسا من الاتحاد) وبـــ«Dexit» (خـروج ألمانيـا من الاتحاد) أو حتّى «Euxit» (تفكّك الاتحاد). وهناك خطر تضليل الرأي العام المقترن بصعود الأحزاب الشعبوية أو الشعبوية الجديدة التي يصنّفها Jean Yves Camus الباحث المتخصّص في القومية والتطرّف بأوروبا، كحركات سياسية لا ترتبط بالفاشية أو معاداة السامية والتي تتبنّى نقدا صارما لأوروبا الموحّدة والهجرة والإسلام، وهو ما يقلّل من حدّة التهم بالعنصرية وكره الأجانب والمسلمين على وجه الخصوص ويغضّ الطرف عن الموروث النازي (الجديد) لبعض هذه الأحزاب التي تسعى إلى عدم الإفصاح عنه. يقول Jean Yves Camus إنّ النتائج الانتخابية لهذه الأحزاب أضعف من أن تمكّنها عموما من الوصول إلى الحكم إلاّ أنّها تشارك بقوّة في الحياة السياسية في بلدانها وتؤثّر بفاعلية في اختيار مواضيع الحوار. هذا الوضع تغيّر بعد دخول العديد من الأحزاب المتطرّفة في ائتلافات حكوميّة مع المحافظين.

وهناك خطر تسرّب أفكار ومواقف اليمين المتطرّف إلى بعض المجموعات السياسية الأخرى وخاصّة منها المحافظة التي شدّدت من مواقفها إزاء الهجرة واللجوء ومظاهر التديّن (الإسلام) وذلك لجلب الناخبين ومحاولة سدّ الطريق أمام تقدّم اليمين المتطرّف.

هذه الظاهرة تبرز خاصة في انضمام عديد القوميين واليمينيين المتطرّفين إلى مجموعة الحزب الشعبي الأوروبي (PPE) المحافظة بصفتها أكبر مجموعة برلمانية وربّما كذلك للتأثير على الخطاب المحافظ ومن ضمن هؤلاء نواب الاتحاد المدني المجري Fidesz الذي علّقت عضويّته أخيرا في هذه المجموعة لتحامله على سياساتها.

كذلك يفسّر بعض المحللين عدم وجود أحزاب يمينية متطرّفة قويّة في شرق أوروبا بتواجد أحزاب محافظة متشدّدة في السلطة تتبنّى نفس السياسات تقريبا.

لذلك يمكن القول إنّه في غياب أغلبية له داخل البرلمان الأوروبي، لن يتمكّن اليمين المتطرّف من تمرير مواقفه ويصعب على هذه الفئة أن تبني تحالفات مع مجموعة أو مجموعات أخرى، إلاّ أنّها ستساهم بقوّة في الحوارات الجارية حول المسائل المذكورة أعلاه. كما يمكن لها اعتماد سياسات داخل بلدانها لا تتماشى بالضرورة مع سياسات الإتحاد الأوروبي (إيطاليا والمجر على وجه الخصوص). وعلى العموم، فإنّ المشهد السياسي بالبرلمان الأوروبي بدأ يتغيّر، فقد اهتزّت هيمنة الحزب الشعبي الأوروبي (PPE) والتحـالف التقـدمي للاشتراكيين والديمقراطيين (SXD) اللّـذيـن خسـرا ما بين 35 و45 مقعدا لكلّ منهما في حين تقدّم الليبيراليون والخضر بقوة، ومع أنّ الأحزاب الموالية لأوروبا الموحّدة وسياساتها بقيت محافظة على الأغلبية داخل البرلمان وباستطاعتها السيطرة على التيارات المتطرّفة إلاّ أنّ هذه الأخيرة ستواصل صعودها وانتشارها داخل البلدان الأوروبية. وستكون لذلك آثار سلبيّة على مصالح بلدان جنوب المتوسّط ومن ضمنها تونس، وهو ما يستدعي متابعة تطوّر هذه الظاهرة واستشراف انعكاساتها المحتملة في كافّة المجالات.

م.ل

AVANT LA SÉANCE HISTORIQUE AU PALAIS DU BARDO, OU L'ASSEMBLÉE CONSTITUANTE TUNISIENNE VIENT A L'UNANIMITÉ D'ABOLIR LA MONARCHIE, PROCLAMER LA RÉPUBLIQUE ET ELIRE SON PREMIER PRÉSIDENT, BOURGUIBA REÇOIT LES FÉLICITATIONS DES FEMMES DES HAUTS FONCTIONNAIRES. ON N'AVAIT PAS EU LE TEMPS DE DÉCROCHER LES PORTRAITS DES BEYS

LE JOUR 1 DE LA RÉPUBLIQUE DE BOURGUIBA

DE NOS ENVOYES SPECIAUX ROGER MAUGE - DANIEL CAMUS

Le palais est vide. Tous les courtisans sont partis. Depuis huit jours, il n'y a plus que des policiers dans les cuisines et les antichambres. Le nain du bey, habillé de rouge, guette en haut de l'escalier les pas et les voix qui rebondissent sur les marbres de marbre.

Sans faire de bruit, il entrebâille la porte du grand salon et regarde Son Altesse Sidi Lamine Pacha Bey, qui n'ose plus s'asseoir sur le satin rose de son trône doré. Ce nain qui pleure va voir mourir la dynastie husseinite qui des dynasties de bouffons ont fait rire pendant deux cent cinquante-deux ans.

Sous le regard naïf du portrait d'un bey d'autrefois qu'on dirait peint par le douanier Rousseau, Son Altesse Sidi Lamine a revêtu pour finir son règne une gandoura blanche très ordinaire. Il attend, solitaire. Il attend, ce jeudi 25 juillet 1957, deux hommes en complet blanc, deux ministres qui vont lui annoncer que

Suite page 68

VOIR PAGES SUIVANTES

بقلم د.عادل بن يوسف

كيف ألغيت الملكية وأعلن النظام الجمهوري في تونس؟

يُحيي التونسيّون يوم الخميس 25 جويلية 2019، الذكرى الثانية والستين لإعلان الجمهوريّة، بعد إلغاء النظام الملكي. وتحمل ذكرى إعلان أوّل جمهورية في تاريخ تونس أكثر من دلالة وعبرة رغم أنّها عرفت تجربتين شبيهتين بالحكم الجمهوري بمفهومه الجنيني، هما تجربة الحكم بقرطاج (بين 480 و290 ق.م) وتجربة «جمهورية الدايات» (بين 1598 و 1630 م)...

بعد عام ونصف عن استقلال تونس في 20 مارس 1956 وتنظيم أوّل انتخابات تشريعية لنواب المجلس القومي التأسيسي يوم 25 مارس 1956 وبحضور 90 من أعضائه (من أصل 98 نائبا) صوّت نوّاب المجلس القومي التأسيسي عشيّة 25 جويلية 1957 بالإجماع على إلغاء النظام الملكي وإعلان الجمهوريّة وتكليف رئيس الحكومة حينئذ، الأستاذ الحبيب بورقيبة (منذ 12 أفريل 1956)، برئاسة الجمهوريّة الأولى في انتظار تنظيم أوّل انتخابات رئاسية (جرت يوم 08 نوفمبر 1959). وبذلك طوَتْ تونس صفحة 252 سنة من تاريخ الحكم الملكي الحسينيّ (الذي أسّسه حسين بن علي باشا باي في 15 جويلية 1705) وبدأ عهد الجمهوريّة الأولى الذي تواصل إلى غاية المصادقة على دستور 27 جانفي 2014. وحرّي بنا بهذه المناسبة أن نقف عند أهميّة هذا الحدث التاريخي ورمزيّته وأسباب ودوافع اتخاذه ومرجعيّاته الفكرية والقانونية وصداه خاصّة في أوساط التونسيّين ممّن عاشوا تلك اللحظة الفارقة من تاريخ تونس المستقلّة وبدرجة أقلّ خارج البلاد.

خلفيّة إعلان الجمهوريّة: «تربّص» بورقيبة بالباي وعزمه على الإطاحة بالملكية

منذ عودته من فرنسا وإبرام اتفاقيات الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955 سعى الحبيب بورقيبة إلى طمأنة الباي وأفراد البيت الحسيني وسفراء الدول العظمى المعتمدين بتونس. لكنّه في المقابل كان يرسل إلى هؤلاء بعض الإشارات المضادّة على غرار ما جاء في خطابه الافتتاحي بالمجلس القومي التأسيسي يوم 08 أفريل 1956 الذي نوّه فيه بالمنصف باي «الباي الشهيد» معترفا بكونه «كان جمهوريا صميما والشاهد على ذلك←

SIMPAR
ISO9001
Since 1973

RESIDENCE LA BRISE
Jardins de Carthage

Vous invite à découvrir son nouveau projet **"LA BRISE"** sis aux jardins de Carthage. Résidence **de très HAUT STANDING** abritant 17 appartements **S+1, S+2 et S+3** ainsi que **2 Duplex et** un grand parking sous sol.

45 ans EXPERIENCE

Pour plus d'informations, nous contacter au :

simpar@planet.tn
www.simpar.tn
SIMPAR
29 921 011 / 29 921 009

أنّه قال لي يجب إعلان الجمهوريّة بتونس. وكم أودّ أن أؤسّس الجمهوريّة وألقي بالأمراء عرض البحر!». وتأكيدا لذلك عمل على التقليص تدريجيا من نفوذ محمّد الأمين باي الذي لم يبق له في النهاية غير الجلوس على العرش وممارسة مهام تشريفاتية وجزء ضئيل من السلطة التشريعيّة كوضع طابعه وإمضائه على الأوامر والقرارات والمراسيم (القانونية وغير القانونيّة منها) التي يعرضها عليه رئيس حكومته صبيحة يوم كلّ خميس من كلّ أسبوع...وفي ظرف وجيز أصبح بورقيبة يتصرّف بمثابة الرجل الأول في البلاد. وفي 15 جويلية 1957 اتخذ قراره بالإطاحة بالملكية.وفي الأيام العشرة التي هزّت البيت الحسيني (بين 15 و 25 جويلية 1957) تسارعت وتيرة الأحداث لتنتهي بخلع آخر البايات الحسينيين. ففي صبيحة 15 جويلية 1957 فرض الأمن حراسة على القصر الملكي مانعا الدخول إليه والخروج منه. كما فرضت الشرطة مراقبة على كلّ الطرق المؤدية إلى القصر وبات الباي وأفراد عائلته أسرى السلطة الجديدة.

وفي 18 جويلية شنّ بورقيبة هجوما على العائلة الحسينيّة في خطاب له بمدينة تونس وذكر بالاسم « للاّ عائشة وللاّ خديجة وسيدي الشاذلي». وركّز على استهتار هؤلاء بالقانون وتكديسهم لثروات طائلة بطرق غير مشروعة وحمل الخطاب الوعيد والتهديد. ومن أهمّ ما جاء فيه: «إنه لا بدّ من يوم يجرى فيه الحساب على هذه التصرّفات وما شاكلها، وربّما كان قريبا، لأنّه يتعذّر على هذه الدولة أن تبقي على عقول تعفنت أو نفوس تشوّهت فطرتها فأصبحت ترى في الانحراف سلوكا طبيعيّا. ولو جدّ هذا قبل عشرين سنة لجاز الرجاء في الإبقاء عليه لأنّه يكون ممّا عمت به البلوى، لكنّه الآن غير ممكن في دولة بنيت على أسس طاهرة تتلاءم مع النفسيّة الجديدة لهذا الشعب ومع تضحياته وسمعته الطيّبة...». وفي مساء يوم 19 جويلية ألقت الشرطة القبض على النجل الأصغر للباي (32 سنة) الأمير صلاح الدين بتهمة محاولة قتل مفتّش الشرطة المسؤول عن حراسة القصر، وأودع السجن المدني بتونس.وقد رأت إحدى الصحف الفرنسيّة المشهورة في تلك الحادثة حلقة «من حلقات الهجوم الجمهوري» لبورقيبة على عائلة البايات...» وشدّدت الصحافة المحليّة والفرنسيّة على أهميّة حادثة إيقاف الأمير صلاح الدين ناهيك وأنّها جدّت ساعات قليلة قبل انعقاد اجتماع بأهمّ سفراء تونس بالخارج دعا إليه بورقيبة لإطلاعهم على «قرارات مصيريّة قيد الدرس». وبالفعل اجتمع الوزير الأكبر بورقيبة ووزير الخارجية صباح يوم 23 جويلية بسفراء تونس في كلّ من باريس وواشنطن والقاهرة وروما ولندن ومدريد والرباط، وسألهم بلا موارية «عن ردود الأفعال المرتقبة في البلدان المعتمدين فيها في حال خلع الباي...». ويبدو أنّ هؤلاء الديبلوماسيّين نصحوا بورقيبة «بتوخّي الاعتدال». وقد أفاد سفير تونس بالرباط الحاضرين بأنّ عملا من هذا القبيل سينظر إليه بعين الريبة في المغرب الأقصى وقد يقابل بالاستهجان...

من «التربّص» إلى إلغاء المُلكيّة وإعلان الجمهوريّة و«السيناريو المحبوك»

مساء الثلاثاء 23 جويلية 1957 وبدعوة من بورقيبة، اجتمع الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد سرّيا بمكتبه بالقصبة وقرّر اختيار النظام الجمهوري، أي «المناداة بإلغاء المُلكيّة». كما دعت نفس الهيئة المجلس التأسيسي للانعقاد يوم 25 جويلية للنظر في شكل الدولة وأوكل له، ضمنيّا، مهمّة إعلان الجمهوريّة... و يبدو أنّ قرار الدعوة إلى التئام المجلس قد اتخذ قبل انعقاد اجتماع الديوان السياسي إذ يذكرالرشيد إدريس في مذكراته أنه اتصل يوم الثلاثاء 23 جويلية 1957 «من جلولي فارس رئيس المجلس ببرقيتين، الأولى موجهة إلى جميع النواب، تفيد بأنّ المجلس يعقد جلسة عامّة يوم الخميس 25 جويلية على الساعة التاسعة صباحا. أمّا البرقيّة الثانية فكانت موجهة إليّ شخصيّا من باردو أيضا بتاريخ 23 جويلية... تدعوني للحضور في الغد على الساعة الثامنة صباحا بمكتب الأخ الباهي الأدغم نائب رئيس الحكومة...». وأضاف الرشيد إدريس: «... وفي الساعة الثامنة كانت المقابلة وكانت المفاجأة. فقد أخبرني الأخ الباهي الأدغم أنّ جلسة يوم الخميس ستخصّص لبحث موضوع إعلان الجمهوريّة وأشعرني بأنه يعهد إليّ بأخذ الكلمة في هذا الاجتماع للدفاع عن فكرة الجمهوريّة ثمّ أخبرني بأنّ الأخ أحمد المستيري، وزير العدل في انتظاري ليمدّني ببعض المعلومات والبيانات في الموضوع...». ويبدو أنّه خلال هذا اللقاء قد أشار على الرشيد إدريس بالتلّفظ بالعبارة الشهيرة وبشكل رنّان وصوت عال: «نريدها جمهوريّة». كما تمّ توزيع الأدوار، وترتيب وقائع الجلسة المشهودة قبل انعقاد المجلس بثماني وأربعين ساعة على الأقل. وتأكيدا لذلك يذكر عضو الديوان السياسي ورئيس لجنة صياغة الدستور السيّد أحمد بن صالح أنّه خلال الاجتماع السري للديوان السياسي صيغ نصّ الإعلان عن النظام الجمهوري في ورقة صغيرة وتمكينه منها. وبقي يحتفظ بتلك الورقة في جيب سترته إلى حدّ النوم وهي معه خوفا من ضياعها ليمرّرها بشكل ذكيّ وسريع وغير ملفت للانتباه أثناء جلسة يوم الخميس إلى رئيس الجلسة ورئيس المجلس القومي التأسيسي، السيّد جلولي فارس.

وحسب دراسة زميلنا المؤرّخ الأستاذ فتحي ليسير («من الذاكرة الوطنيّة: المرحليّة البورقيبيّة في مسار إعلان الجمهوريّة التونسيّة دراسة تاريخية»، نشرت في حقائق أون لاين يوم 23 - 07 - 2016) كان كلّ شيء يشير صباح يوم الخميس 25 جويلية 1957 إلى أنّ الاستعدادات للإعلان عن حدث الجمهوريّة قد اكتملت في أدقّ تفاصيلها وفق ما خطّط لها بورقيبة وأنصاره المتحمّسون الذين نعتتهم جريدة «لاكسيون» (L'Action) في عددها بتاريخ 29 جويلية 1957 بـ «كومندوس الجمهوريّة» (Le Commandos de la République).

ولم يُترك شيء للصدفة إذ أقيمت معالم الزينة من أعلام ورايات وأكاليل...، وتمّ استنفار حشود غفيرة من المواطنين منذ الصباح الباكر للتجمهر أمام قصر باردو...كما تمّت دعوة وسائل الإعلام التونسيّة والأجنبية من إذاعة وصحافة مكتوبة لحضور فعاليات تلك «الجلسة المشهودة»، هذا فضلا عن دعوة رجال السلك الديبلوماسي وعدد من المدعوين والمدعوات اختيروا بعناية ودقّة. كما نصبت بقاعة العرش في قصر باردو تجهيزات الإرسال الإذاعي «كي يتمكّن الشعب التونسيّ بأكمله من الاستماع إلى ما سيقع بتلك الجلسة المهيبة مباشرة. وفي تمام الساعة التاسعة والنصف صباحا افتتح المجلس القومي التأسيسي أشغاله. ومنذ البدء حدّد رئيسه جلولي فارس موضوع الجلسة بقوله: «إنّ جدول أعمالنا فيها [الجلسة]

هو النظر في شكل الدولة الذي كان متوّقفا على معرفته الإنجاز (كذا) لمشروع الدستور. ولذا جمعنا المجلس صاحب الحقّ في معرفة هذا الإطار «شكل الدولة» بتقرير مصيره، وبعد ذلك فإنّ جلستنا ستستمرّ حتّى يستقرّ رأينا على ذلك». وبعد مناداة النواب قصد التثبّت في عدد الحضور وتسجيل أسماء النواب الذين طلبوا الكلمة، تتالى على المنصة ثلاثة عشر نائبا. وتمحورت المداخلات حول ضرورة تحديد شكل الدولة وإبراز مساوئ النظام الملكي والمناداة بالجمهوريّة نظاما جديدا للدولة وبالحبيب بورقيبة رئيسا لها...

وخلال حصّة بعد الظهر وتحديدا في الساعة الثانية والنصف أسند رئيس الجلسة الكلمة لبورقيبة الذي ألقى خطابا استغرق ساعتين وعشر دقائق.

وقد تكفّل بورقيبة آخر المتدخلين بتقديم «قرار اتهام للدولة الحسينية» ضدّ الباي والمُلكيّة. وتمحور خطابه على فكرتين أساسيتين أولاهما أنّ تاريخ العائلة الحسينيّة «الأجنبية عن الشعب التونسيّ» - كما جاء على لسان النائب الطيّب الميلادي – هو سلسلة الخيانات للشعب والبلاد، ختمتها خيانات الأمين باي التي لا تُغتفر للحركة الوطنية». وبعد أن بسط أحمد بن صالح الموضوع مثلما هو مقرّر ووفق ما قاله للباهي الأدغم، تكلّم الرشيد إدريس باسم الحزب وقال: «... لماذا هذا الالتواء لا نريد الالتواء نريدها جمهورية...». عند هذا المستوى طلب أحمد بن صالح الكلمة من رئيس المجلس فقال له: «إنك تكلمت...» فذهب إليه من مكانه وقال له: «إذا لم تعطني الكلمة الآن بعد الرشيد إدريس، فسوف أتكلّم من مكاني» عاد إلى مكانه ونظر رئيس المجلس يستشير، فانضموا إليه بإشارة بالرؤوس، وكان له ذلك، بعد أن أشار بورقيبة والأدغم وبقية المسؤولين إلى رئيس المجلس بأن أعطِه الكلمة... أخذ بن صالح الكلمة، ولم يردّ تحديدا على الرّشيد إدريس لكنّه وضّح موقفه وقال للحاضرين: « إني آخذ الكلمة لا كرئيس لجنة تحرير الدستور، بل كنائب ورئيس قائمة الجنوب... لأني تكلمت المرة الأولى كرئيس لجنة لأبسط الموضوع، لا بدّ أن نعرّف النظام...قلت في ما قلت إنّنا نحن جيل بورقيبة...ونحن كجيل نرى أنّه لا بدّ من رجوع المياه إلى مجاريها، وهل ثمّة ما هو أصفى وأنقى من مياه الشعب؟ إلى آخر ذلك من الكلام وهو مسجّل، وإذا ببورقيبة يغادر مقعده ويعانقني بحرارة، على طريقة ما فعل معي في مؤتمر الحزب بصفاقس سنة 1955، وقال لي وهو يعانقني: « يا غول... »!

وفي حدود الساعة 17.50 د وبعد اقتناع كل النواب بصحّة الخيار الجمهوري أعيدت الكلمة إلى السيد جلّولي فارس الذي تلا على نواب المجلس نصّ إلغاء المُلكيّة وإعلان الجمهوريّة.

ورغم أنّ حجم النصّ لم يتجاوز 14 سطرا و4 فقرات، فقد كان كافيا لتغيير نظام سياسي برمّته قائم بتونس منذ 252 عاما. ثمّ طَلب منهم التصويت عليه فتمّت المصادقة عليه بالإجماع برفع الأيدي وذلك في تمام الساعة السادسة مساء.

الفرحة العارمة

مباشرة بعد الإعلان عن الجمهوريّة عمّت الفرحة العاصمة وكامل أنحاء البلاد، حيث انطلقت الجماهير من باردو في اتجاه القصبة ثمّ نحو وسط المدينة هاتفة باسم الجمهوريّة والزعيم بورقيبة «تحيا الجمهوريّة» و«يحيا بورقيبة» ومن مقرات الشعب الدستورية في اتجاه وسط كل مدينة وقرية وريف... كما تلقى بورقيبة التهاني من نواب المجلس ثم من السفراء والقناصل وأعضاء البعثات الدبلوماسية والضيوف الذين وجهت لهم الدعوة من رؤساء المنظمات القومية والشخصيات الوطنية وكبار المقاومين والمناضلين والإطارات العليا في جهازي الحزب والدولة... ولم تغب المرأة عن هذا الموكب حيث تقبّل بورقيبة التهاني من وفد رسميّ عن الاتحاد القومي النسائي التونسي والشخصيات النسائية المعروفة... ومن هول تأثير وقع الحدث، تمّ منذ اليوم الموالي في بعض مدن وقرى وأرياف البلاد ترسيم بعض البنات من المولودات الجدد باسم «جمهورية». كما تولت ابنة الشمال الغربي المطربة صليحة بعد مدة قليلة أداء أغنية أعُدّت للغرض تحمل عنوان « تونس اليوم برات م التنكيدة» (كلمات أحمد خير الدين وألحان صالح المهدي) وفي ذلك أكثر من دليل ! ولسائل أن يتساءل كيف تمّ إعلام الباي بهذا القرار الخطير؟

من «المحاكمة» إلى تنفيذ الحكم

تكوّن وفد من النواب ضمّ كلاً من الطيب المهيري (وزير الداخلية)، وأحمد المستيري (وزير العدل)، انضمّ إليه كل من: أحمد الزاوش (والي تونس) وإدريس قيقة (مدير الأمن الوطني) وعبد المجيد شاكر (المدير الإداري للحزب) والتيجاني القطاري (آمر الحرس الوطني) ومحمّد بن شعبان (محافظ الشرطة). وترأس هذا الوفد علي البلهوان شيخ مدينة تونس والكاتب العام للمجلس القومي التأسيسي وهو الذي تولى قراءة قرار المجلس على الباي. وبما أنّه كان قد استمع لقرار المجلس عبر الإذاعة قبل وصول الوفد إلى قصره (بيت الحكمة اليوم) فإنّ محمّد الأمين باي (حسب دراسة زميلنا المؤرّخ الأستاذ فتحي ليسير) تلقى قرار خلعه بدون تأثّر ظاهري ثمّ تلا إدريس قيقة، باسم وزير الداخلية « قرار الإقامة الجبرية لأفراد عائلة محمد الأمين باي فقال «اللّهم بارك» وطلب الإذن بتغيير جبّته بالغرفة الداخلية، لكنّ الطيّب المهيري لم يسمح له بذلك إلا بعد تدخّل الأستاذ علي البلهوان... وبمقتضاه تمّ نقل الباي المخلوع صحبة زوجته وأولاده وبناته وصهره محمّد بن الشاذلي بن سالم، وولي العهد حسين بن محمد الناصر، إلى مقر إقامتهم الجديد وهو قصر الهاشمي الكائن بسيدي عمر على مشارف مدينة منوبة (سجن النسوة اليوم). أمّا زوجة الباي (ودوما حسب دراسة زميلنا المؤرّخ الأستاذ فتحي ليسير) فقد حيّت بدورها إدريس قيقة لمّا دخلت إلى قاعة العرش ثمّ هنّأته بحدث الجمهوريّة. لكن ذلك السلوك لم يرق لبورقيبة الذي أنّب مدير الأمن على سلبيته تجاه «صلف» الباي و«رعونته». كما لم يغفر له عدم أخذ صورة له وهو يمتطي سيارة الداخلية من نوع «دياس» (Déesse) في اتجاه مقرّ إقامته الجبرية بسبب رفض وزير الداخلية، السيّد

ASSURANCE
Construction

Promoteurs immobiliers... et professionnels du secteur du bâtiment

Pour assurer la réalisation de vos projets en toute sérénité...

des solutions adaptées à chaque besoin !

Nos +++

• un savoir-faire et une expertise reconnue,
• un accompagnement personnalisé pour vous guider dans vos projets...

GARCICOM

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Groupe banque de l'habitat

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5-
Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 299
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

← الطيب المهيري رفضا قاطعا منذ الصباح دخول أيّ صحفيّ أو مصوّر القصر الملكيّ لتغطية هذه اللحظة التاريخية.

وفي الواقع لم يكن بورقيبة مهتمّا بمصير العائلة المالكة بقدر ما كان مشغول البال بتحفظات كلّ من ليبيا والمغرب والسعودية، فضلا عن بعض الأوساط الغربية عن إعلان الجمهوريّة في تونس. وتأكيدا لذلك غادر سفير المملكة الليبية مقرّ المجلس القومي التأسيسي احتجاجا على إعلان الجمهوريّة بحكم المعاهدة التي كانت قد ربطت البلدين خلال زيارة الدولة التي أداها رئيس الحكومة الليبية مصطفى أحمد بن حليم لتونس في مطلع سنة 1957 وتوقيع بورقيبة ومصطفى بن حليم معاهدة الإخاء والتعاون وحسن الجوار بين تونس وليبيا 06 جانفي 1957. كما أدّى الملك سعود بن عبد العزيز في 21 فيفري 1957 زيارة إلى تونس... وهو ما دفع بورقيبة إلى تكليف وزير الخارجية بالاتصال بسفيري البلدين بتونس وطمأنتهما على مصير الباي وأفراد عائلته والوعد بفتح صفحة جديدة من العلاقات بين البلدين. وفي أكتوبر 1958 نُقل الباي وزوجته إلى ضيعة استعمارية على ملك ديوان الأراضي الدولية بضاحية سكّرة ولم يُخْلَ سبيله إلا عام 1960 لينتقل للعيش بحرية في شقة بحيّ لافيات إلى حين وفاته في 30 سبتمبر 1962. وخلافا لبقية البايات الحسينيّين لم يدفن محمّد الأمين باي بتربة الباي بالعاصمة، بل بمقبرة سيدي عبد العزيز بالمرسى وسط عدد ضئيل من أفراد عائلته وحراسة أمنية مشدّدة. والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي المرجعيات الثقافية والفكرية للجمهورية التونسية؟

تأثّر الزعيم الحبيب بورقيبة ورجال دولته بالنظام الجمهوري

يرى الباحث عبد العزيز كمّون في دراسة له بعنوان «الجمهورية في فكر بورقيبة نشرت بجريدة الشعب يوم 04 - 08 – 2007 أنّ بورقيبة والفريق العامل معه في دولة الاستقلال من أبناء جيله أو من الذين انضمّوا إليه لاحقا، كانوا جميعا متشبّعين بالثقافة الجمهوريّة منذ دخولهم المدارس الفرنسية- العربية، مرورا بالمعاهد العصرية بالعاصمة وكبرى المدن التونسية، وصولا إلى تخرّجهم كمحامين وأطباء وأساتذة وصيادلة... من أكبر وأعرق كليات الحقوق والآداب والطب والصيدلة والعلوم بباريس وسائر المدن الفرنسية. وهو تشبّع في التكوين الشامل وليس في تخصّص محدّد أي أنّه تثقّف ثقافة جادّة وواسعة في كل ما يخصّ الآداب والفنون والحضارة والقانون، سواء كانت متّصلة بتاريخ فرنسا القديم والحديث أو بتاريخ أوروبا والعالم عموما. بل إنّ احتكاكهم بالفرنسيّين وبالحياة الفرنسية، سواء عند إقامتهم بفرنسا زمن الجمهوريّة الثالثة (4 سبتمبر 10-1870 جويلية 1940) أو الجمهوريّة الرابعة (من 27 أكتوبر -1946 4 أكتوبر 1958) ومعايشتهم لعديد الأحداث السياسية بها أو بتونس، علاوة على تزوّج بعضهم بفرنسيات، جعل منهم في آن واحد مثقفين وسياسيّين محنكين وزعماء أصحاب قضيّة وكذلك من أبرز العارفين بالتاريخ السياسي الأوروبي والفرنسي بالخصوص، دون القطع مع تاريخهم وثقافتهم العربية الإسلامية.

مرجعيات تونسية بالأساس مع الاستئناس بالتجارب الأجنبية

إنّ المتأمل في مضمون إعلان الجمهوريّة التونسية ومرجعياته القانونية يلاحظ عنصرين رئيسيين أوّلهما إطلاع نواب المجلس القومي التأسيسي على تجارب ودساتير ونظم عديد البلدان الصديقة الشقيقة وفي مقدّمتها سويسرا وألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا خاصّة والاستئناس بها في اختيار طبيعة النظام، أي النظام الجمهوري وليس المُلكيّة المقيّدة بدستور والنظام الرئاسي تحديدا وليس البرلماني وتحديدا النظام الرئاسي الأمريكي الذي يعطي صلاحيات كبيرة لرئيس الجمهورية وهو ما كرّسه دستور 1 جوان 1959 وكانت تبعاته سلبية على الحياة السياسية بالبلاد إلى غاية 2011...وثانيها تجاوبه مع التصوّرات التحديثية بتونس منذ دعوات زعماء الإصلاح في نهاية القرن 19م كخير الدين باشا ومحمّد بيرم الخامس وابن أبي الضياف والبشير صفر والشيخ عبد العزيز الثعالبي والمصلح الكبير الطاهر الحداد... للاستفادة من التنظيمات السياسية والاقتصادية الأوروبية مع المحافظة على القيم الاجتماعية والثقافية الموروثة عن الحضارة العربية الإسلامية قصد بلورة تصوّرات تقطع مع المعوقات الذهنية والاجتماعية وخاصّة ما يتعلّق منها ببنية المجتمع بمختلف فئاته ومكوناته من نخب وموظفين وفلاحين وعمّال... بحضور ومساهمة فعّالة للمرأة... وليس من باب الصّدفة أن سبق هذا الإعلانَ عددٌ من القرارات ذات الدلالات الكبرى وخاصّة منها تَوْنَسَةُ الأمن في 18 أفريل 1956 ثمّ العدلية وجهاز الداخلية يوم 21 جوان 1956 وإحداث الجيش الوطني في 24 جوان 1956 والحرس الوطني في 06 سبتمبر 1956 وإصدار مجلّة الأحول الشخصية في 13 أوت 1956 وإقرار تعليم جمهوريّ لائيكي، مجانيّ وإجباريّ لكلّ التونسيّين والتونسيّات في 04 نوفمبر 1958...الخ.

وعلى امتداد هذا المسار الطويل والمضني من النضال الفكري والسياسي التحديثي، كان لفكرة الدستور التي تبلورت منذ عهد الأمان في 09 سبتمبر 1857 ودستور 26 أفريل 1861 وكانت وراء قيام الحزب الحرّ الدستوري في مارس 1920 ووريثه الحزب الدستوري الجديد في 02 مارس 1934 والمحطات النضالية التي خاضها هذا الحزب الوطني والتي كانت آخرها أحداث الكفاح المسلح والمقاومة الشعبية بين 1952 و 1954...، تأثير جليّ على استعادة الشعب التونسي لسيادته على أرضه وامتلاكه لزمام مصيره من خلال المشاركة في الحكم وبناء الدولة الوطنية الحديثة بمؤسّساتها وهياكلها وتتويج كلّ ذلك بالإعلان عن الجمهوريّة في 25 جويلية 1957 الذي كان حلما لأجيال من المناضلين التونسيين من كلّ الفئات والمناطق والاتجاهات دون استثناء ودعمها بدستور ينّظمها في 1 جوان 1959 وهو ما أعطى لتونس ولتاريخها معنى راسخا وللهوية الوطنية عمقا حقيقيا وشعورا غير مسبوق في تاريخ التونسيّين، اتّسم بالنخوة والعزّة والكرامة الوطنية وشعورهم بكونهم مواطنين وليسوا رعايا يمارسون بأنفسهم كما هو الحال في تعريف الديمقراطية بالدول الغربية.

ع.ب.ي

ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois.
En fin de période vous en devenez propriétaire.

ATL LEASING

Plus qu'un leasing...

برج الضيافة بصفاقس

لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة »النّزل ذات الطابع المميّز« Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف9001 ISO و22000 ISO وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسداة من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+

شركة عقارية قمرت
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع
طلب عروض عدد 15 لسنة 2019

التّفويت في عدد 08 عقارات
كائنة بسيدي بو سعيد– تونس وببرج العامري -منوبة وبالحمامات -نابل وبغار الملح وبرفراف –بنزرت
(أقساط مستقلة)

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا في عدد(08) عقار(أقساط مستقلة):

• عدد (01) فيلا و عدد (01) جناح سكني(Bangalow) كائنة بإقامة " المراسي" بسيدي بوسعيد - تونس:

القسط	إسم العقار	الجناح	الرّسم العقاري	الموقع / الوصف	الطابق	النوع	المساحة H. Œuvre (حوالي)	مساحة غير مغطاة (شرفة) (حوالي*)
I	سيدي بو سعيد 3	أ	114373 تونس (221 7 م²)	إقامة المراسي، تطل مباشرة على الشاطئ وبالقرب من الميناء الترفيهي بسيدي بوسعيد-تونس وتتميز بهندستها التقليدية على شكل قرية	الطابق الأرضي + طابق الحديقة	Duplex S+4	277 م²	139 م²
II	سيدي بو سعيد 18	ب	153414 تونس (308 9 م²)		الطابق الأرضي + الطابق الأول	Duplex S+3	139 م²	25 م²

• عدد (03) فيلات بالحمامات:

القسط	الفيلا	الرّسم العقاري	الموقع/ العنوان	الوصف/ المكونات	مساحة العقار	المساحة المغطاة
III	أثينا 338	601589 نابل	شارع طارق إبن زياد الطريق السياحية حمامات الشمالية ملاصق لنزل «إقامة الرمان» وقبالة نزل «رويال أزور»Royal Azur	فيلا R+1 مع حديقة (حوالي 820 م²)	1 200 م²	حوالي 694م²
IV	القمر XI	595469 نابل	على مفترق نهج العمبر ونهج المرجان، المنطقة السياحية المرازقة وعلى بعد دقائق من الشاطئ	فيلا R+1 مع حديقة (حوالي 757 م²)، ومسبح (حوالي 49 م²)	1 090 م² على الشياع	حوالي 555 م²
V	جنان 109	544901 نابل	عدد 109 ، إقامة جنان الأندلس، ياسمين الحمامات، بمنطقة سكنية هادئة وراقية	فيلا R+1 مع حديقة (حوالي 225م²)	349 م²	حوالي 195م²

• عدد (03)أراضي كائنة ببرج العامري-منوبة وبغار الملح وبرفراف –بنزرت:

القسط	إسم الرّسم	الرّسم العقاري	الموقع	المساحةموضوع التفويت	الصّبغة
VI	فهد	10587 منوبة	المحفورة، بمنطقة فلاحية ببرج العامري- منوبة	364 217 م²	فلاحية
VII	صقليّة	45691 بنزرت 194 2 م²	عدد 03 قطع أرض على حافة الطريق الرئيسية شارع الحبيب بورقيبة المؤدية من غار الملح إلى شاطئ سيدي علي المكي ببنزرت **مقام عليها بناية (حوالي 395 م²)** وتطل على الميناء القديم لغارالملح	316 7 م²	فلاحيّة بالقرب من نسيج عمراني وسكني
		45692 بنزرت 122 5 م²			
VIII	الصخرة	8367 بنزرت	في علو 40 مترتطل على شاطئ عين المستير - رفراف	**1 515 م²** على الشياع	**فلاحية** بالقرب من نسيج عمراني وسكني

يـمكن الإطــلاع على الأمثلة الـموقعيّـة للعقــار عــلى الــرابط www. gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة»عقارية قمرت» أو بمكتبها بمدينة سوسة.

يتمّ التفويت في العقارات موضوع طلب العروض خالية من الرّهون أو التحمّلات.

وتخضع إجراءات التفويت الجاريّة للأحكام والبنود الواردة بكراس الشّروط النّموذجي وبنص إعلان طلب العروض.

يتعلّق البيع بالعقارات والبناءات والمنقولات والتجهيزات على الحالة التي هي عليها كما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم.

ويدعى المهتمّون بطلب العروض إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنيّة المختصّة، عند الاقتضاء وقبل المشاركة، إلى مزيد التّثبت من صبغة الممتلكات موضوع التّفويت ومن وضعيتها القانونيّة والفنّية.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في قسط أو أكثر من طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة العقارات الموضوعة للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدة من **01جويلية إلى 05 أوت 2019**. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة دينار (100د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

ترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه: شركة «عقارية قمرت»
العنوان: نهج بحيرة أناسي - ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس
الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 15 لسنة2019
« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكوّن ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى «ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في كذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراسات الشروط والمحدّد جزافيا بمبلغ **ثلاثون ألف دينار (30.000 د)بالنّسبة للقسط I وعشرون ألف دينار (20.000د)** بالنسبة لكلّ قسط من الأقساط من **II إلي VIIو عشرة الاف دينار(10 000 د)بالنسبة للقسط VIII.**

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الثلاثاء **06 أوت 2019** على السّاعة العاشرة صباحا (10س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنيةفي نفس اليوم على الساعة العاشرة والنصف صباحا (10س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم لمدّة **مائة وثمانون (180) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.

لـمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة أو على الأرقام: (000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

علي الدّوعاجي (1909 – 1949)
الفنّان السّاخر والقصّاص البارع

بقلم د. الحبيب الدريدي

بعد مرور سبعين عاما بالتّمام والكمال على وفاته (27 ماي 1949) ما يزال علي الدّوعاجي يُعدّ ركنا نيّرا من أركان الثّقافة التّونسيّة والأدب التّونسيّ وخير من يُمثّل بظرفه وذكائه الرّوح التّونسيّة أحسن تمثيل . وكلّما تقدّم الزّمن تعمّق اكتشاف القرّاء لخصائص فنّه القصصيّ وازداد استعذابهم لجماليّة أدبه السّاخر وإدراكهم لخطورة منزلته في تاريخ الأدب التّونسيّ الحديث .

والحقّ أنّ عبقريّة الدّوعاجي تكمن في أنّه كان في مجال الإبداع الأدبيّ أهمّ مُعبّر عن الرّوح التّي سادت فترة ما بين الحربين والطّابع الذّي ميّزها وهي روح الانشقاق والتّمرّد على السّائد والثّورة على القديم، ففي سنة 1929 أعلن أبو القاسم الشّابّي انشقاقه عن الذّوق الأدبيّ الكلاسيكيّ والقيم الجماليّة القديمة في محاضرته الشّهيرة «الخيال الشّعريّ عند العرب». وفي سنة 1930 شَهَرَ الحدّاد سيف التّحديث في وجه الفكر الدّينيّ التّقليديّ وانشقّ عن أنماط الفقه التّي يمثّلها المتزمّتون من شيوخ الزّيتونة عندما ألّف «امرأتنا في الشّريعة والمجتمع». وفي سنة 1934 انشقّ بورقيبة ورفاقه عن أشكال من النّضال الوطنيّ عقيمة قاصرة عندما أسّسوا الدّستور الجديد وجعلوا من بثّ الوعي بالقضيّة الوطنيّة في أوساط عموم الشّعب مرتكز عملهم السّياسي. وفي إطار منزع الانشقاق والتّأسيس يندرج أدب الدّوعاجي وعدد من أعلام «تحت السّور»، إذ هو أدب يتمايز عن الأدب الكلاسيكي المكبّل بأغلال القواعد والرّواسم والقوالب الجاهزة لأنّه اختار أن يكون قريبا من الشّعب يُعبّر عن ذوقه وشخصيّته وينطق بشواغله وشجونه ويتكلّم لغة تنفذ إلى أعماقه وتحرّك وجدانه وأحاسيسه. نشأ الدّوعاجي نشأة فريدة من نوعها، فرغم أنّه عاش تجربة اليُتم منذ سنّ مبكرّة بعد فقْد والده فإنّه لم يعرف خصاصة ولا فقرا أو حرمانا ، فقد كان ذاك الوالد من كبار الفلّاحين وذوي الأملاك وكانت الأم تنتسب إلى عائلة بورجوازيّة، ولذلك رُبّيَ محظيًا مُبجّلا في عائلة ميسورة مُنعّمة. وربّما كان لما أُحيط به من تربية ليّنة ومعاملة رفيقة الأثر البالغ في إكسابه ما عُرف عنه من رقّة في العاطفة ورهافة في الحسّ سيظهران بجلاء في أدبه.

أُلحق أوّل عهده بالتّعليم بمدرسة خير الدّين الدّوليّة ثمّ بالمدرسة العرفانيّة القرآنيّة وقضّى بها بضعة سنوات قبل أن يتركها ولمّا يحصل على الشّهادة، ذلك أنّ نزوعه الفطريّ إلى الحريّة والانطلاق لم ينسجم مع ما في التّحصيل والطّلب من قيود وضوابط. إلّا أنّ النّهم بصرامة التّعلّم لم يطفئ شغفه بالمطالعة فكان أن زكّى ما اكتسبه في المدرسة وعزّزه ونمّاه بإدمان القراءة وسعة الاطّلاع على صنوف من الأدبين العربيّ والفرنسيّ. ولم يكن أمام الوالدة حينئذ إلّا الإلقاء به في معترك الصّنائع والحرف فأودعته متجرا لبيع الأقمشة ليحذق أصول التّجارة وفنونها ، ولكنّ تلك الوالدة الحريصة منعته – وقد تمرّس بالمهنة ورام أن يستقلّ بنفسه تاجرا صاحب دكّان – من أن ينتصب لحسابه الخاصّ خوفا من إتلاف أموال العائلة في تجارة خاسرة. ولمّا أراد أن يتولّى أمر ما تركه والده من ضِياع وأراض للفلاحة مانعت الأمّ ثانية إشفاقا على ابنها المدلّل من عناء العمل الفلاحيّ ومشاقّه المضنية ، فكان لهذا الموقف وقع الصّدمة البالغة في نفسه ، وهكذا دُفع إلى التّبطّل والفراغ دفعا وتكوّنت في قرارة نفسه روح ساخرة ثائرة. تخلّى الدّوعاجي عن عالم التّجارة والبيع والشّراء وطفق يتطرّح في «مجالس السّرور» متنقّلا بين المقاهي الأدبيّة في العاصمة وقد كانت منتدى لأهل الفنّ والفكر والأدب والصّحافة فتعرّف هناك على أبرز أدباء تونس وكتّابها ومثقّفيها واختلط بهم وصاحبهم ، وأخذ يميل إلى حياة «البوهيميين» لا سيّما وقد وجد في جماعة «تحت السّور» من يسير سيرتهم ويتطبّع بطباعهم ، وصادفت تلك الفترة قدوم محمود بيرم التّونسيّ إلى تونس (1932) فكان الدّوعاجي من الذّين انضمّوا إلى حلقته ولازموه وتأثّروا به ، وعلى هذا النّحو اتّجه إلى أنماط السّلوك الهامشيّ ومسالك النّظر المتحرّر.

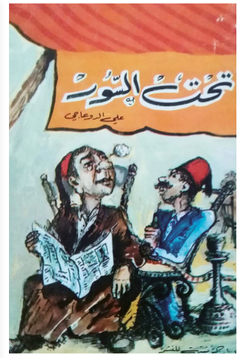

كان الدّوعاجي متعدّد المواهب خطّاطا ورسّاما وشاعرا زجّالا بالعاميّة والفصحى ومُترجما وكاتبا مسرحيّا، ولكنّها ظلّت مواهب كامنة لم يظهر منها في البداية إلّا الشّيء اليسير ، فقد بدأ حياته «العمليّة» في مجلّة « العالم الأدبيّ» التّي يديرها زين العابدين السّنوسي خطّاطا ورسّام كاريكاتور لا غير. أمّا دخوله عالم الأدب فكان شبه مصادفة إذ فاز الدّوعاجي سنة 1933 في مسابقة للرّسم وكانت جائزة الفائز رحلة بحريّة متوسّطيّة . وقد خطر له أن يُدوّن رحلته تلك التّي قادته من كورسيكا إلى نيس ثمّ من نابولي إلى أثينا فإسطمبول وإزمير في نصوص سمّاها «جولة بين حانات البحر المتوسّط» نشرتها مجلّة «العالم الأدبيّ» أوّلا سنة 1935 ثمّ أُعيد نشرها في مجلّة المباحث سنة 1944. وهي من فرائد أدب الرّحلة، فائقة رائقة. وكان نشر فصول تلك «الجولة» منطلق رحلة أدبيّة زاخرة بالإبداع القصصيّ والمسرحيّ والشّعريّ، وساعده عمله مع بيرم في جريدة «الزّمان» ثمّ تأسيسه لجريدة «السّرور» سنة 1936 فضلا عمّا كان يملأ السّاحة الثّقافيّة من مجلّات أدبيّة مثل «العالم الأدبيّ» و«الثّريا» و«المباحث» على نشر مقالاته وأعماله الأدبيّة والقصصيّة وأجزاله وأشعاره إذ كان غزير الإنتاج صاحب قلم سخيّ معطاء. برع الدّوعاجي كأحسن ما يكون في كتابة الأقصوصة، وتدلّ أعماله في هذا المجال على أنّه تمكّن من أصول هذا الفنّ وأتقن أسراره فجاءت كلّ أقصوصة من أقاصيصه قطعة من خالص الفنّ وكيانا من صميم الإبداع ، وهي تُعدّ اليوم نماذج مُثلى في فنّ القصّة القصيرة مثل « المصباح المظلم» و«قتلتُ غالية» و«مجرم رغم أنفه» و«العاشق الأعمى» و«سهرتُ منه اللّيالي» و«نزهة رائقة» وغيرها كثير. وتستمدّ هذه القصص قيمتها الفنيّة الأدبيّة من عوامل عدّة: أوّلها وعي نظريّ عجيب في مُنتصف ثلاثينات القرن الماضي بفنيّات الكتابة في هذا الجنس ينمّ بلا شكّ عن اطّلاع واسع على مذاهب النّقد الغربيّ في فنّ القصّ، وللدّوعاجي تعريف موجز للقصّة القصيرة فيه حسم بسيط لكثير من مشكلاتها: «أحدوثة كما يُسمّيها الأوروبيّون لا دراسة سامية ولا رواية ملخّصة». وثانيها أسلوب في الكتابة القصصيّة اختصّ به وأُثر عنه قوامه الإيجاز الموحي والبنية المتّسقة والحوار البليغ في الإفضاء بدخائل الشّخوص وإحكام القفلة أو «النّكتة»، وهو إلى كلّ ذلك خبير باللّغة العاميّة يجريها على نحو سلس مستساغ لا نُبوّ فيه ولا نشاز. وثالثها انغراس أدبه في تربة تونسيّة أصيلة ، فهو معبّر أبلغ تعبير عن شخصيّة مجتمعه مترجم أصدق ترجمة عن وجدانه وتفكيره. ومن ثمّ فإنّ الدّوعاجي يُعتبر بحقّ أبا شرعيّا للقصّة التّونسيّة الحديثة بلا جدال.

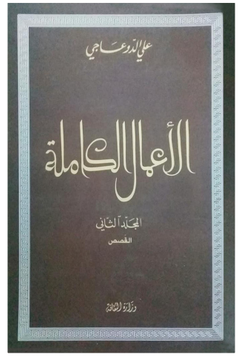

وأمّا أزجاله وأغانيه وأشعاره فظلّت ترانيم خالدة في الذّاكرة الفنيّة والشّعبيّة ، وقد أتقن مختلف ألوان الكتابة في فنّ الأغنية ، فهو صاحب دور «العتاب» الشّهير للموسيقار الهادي الجويني وكاتب رائعة «حبّي يتبدّل يتجدّد» للملحّن نفسه، وقد حذف منها الجويني بيتا يدلّ على روح الدّوعاجي المتحرّرة يقول فيه «كيف ما يرجع المشكاك للدّين اللّي يحقّقو»، كما لحّن له كبار أساطين الموسيقى في تونس من أمثال خميّس ترنان ومحمّد التّريكي.

ويدين المطرب الفكاهي صالح الخميسي لصديقه علي الدّوعاجي بجانب وافر من نجاحه الفنّي ، فالدّوعاجي كان أهمّ مزوّد له بالنّصوص الفكهة النّاقدة السّاخرة مثل «في بلاد الطّررني» و«يبارك في ترابك يا تونس» و«الرّاديو» و«بودفّة» وغيرها . وتعكس أزجاله وأشعاره الغنائيّة التحاما بالأوساط الشّعبيّة وقدرة فائقة على النّفاذ إلى أدواء المجتمع وعلله ومعالجتها بأسلوب فيه كثير من الظّرف والذّكاء واللّمح الخفيّ. ملأ الدّوعاجي دنيا الأدب والثّقافة في تونس وشغل أهلها على امتداد عشريّتين كاملتين بإنتاجه القصصيّ والأدبيّ المجدّد وبروحه النّاقدة السّاخرة وبشخصيّته المرحة وذكائه الوقّاد، وقد شهد له بذلك كبار أدباء عصره، إذ قال فيه الهادي العبيدي : «فقد كان زينة مجمعنا ودرّة عقدنا في منتدى تحت السّور» وقال عنه زين العابدين السّنوسي : «لزم مجلسي في دار العرب لا يبرحه ... فلم يستثقل حضوره أديب كبير ولا ناشئ من الزّوّار». ولكنّ حياة اللّيل وإدمان السّهر في المقاهي والأندية واعتناق البوهيميّة وتعاطي ما كان مباحا في ذلك الوقت من «حشيش» تركت آثارها في جسد الدّوعاجي فأصيب بداء السّلّ وانتهى طريحا في مستشفى الرّابطة ميؤوسا من بُرئه ، فنُقل إلى بيته بأريانة حيث وافاه الأجل المحتوم في 27 ماي 1949.

ولئن عُرف الدّوعاجي بأنّه فنّان الغلبة الذّي «عاش يتمنّى في عنبه مات جابولو عنقود» فإنّ خصلته الأكبر هي أنّ فنّه وأدبه كانا مصداقا لبيت الشّاعر الوطنيّ الشّاذلي خزندار «تونسيّ وحسبي أنّني تونسيّ ...».

ح.د.

قصص من التراث

كيف كان أهل الحجاز يتعاملون قديما مع النساء؟

من النصوص التي شدّت انتباهي في كتاب «الأغاني»، والتي أريد أن أدعو القارئ إلى التوقف معي للتأمّل قليلا فيها، هذه القصص الطريفة الثلاث التي تتحدث عن الطريقة التي كان أهل الحجاز يتعاملون بها قديما مع النساء:

1) القصة الأولى: «قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجًا فرأيت امرأة جميلة تتكلّم بكلام أرفثت (أي أفحشت فيه) فيه، فأدنيت ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أمة الله ألست حاجّة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حُسنا، ثم قالت: تأمل يا عم، فإنني ممّن عنى العرجي بقوله:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها: فإني أسال الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها: أعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عبّاد أهل الحجاز»... (الأغاني، المجلد الأول، ص389/390، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت لبنان).

2) القصة الثانية: «أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني سليمان بن عياش قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة، فوافقا نسوة من بني غفار يتحدثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن، حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجي وتستنشده شعره حتى أصبحوا، فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حرم، ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد؟ فقالت المرأة: كذبت لعمر الله. ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل. فانصرف الرجل»... (الأغاني، المجلد السادس عشر، ص126).

3) القصة الثالثة: «أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: أرسلتني مولاتي فاطمة في حاجة، فمررت برحبة القضاء فإذا بضبيعة العبسي خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس، فأرسل إلي فدعاني، وقد كنت رطلت شعري (أي ليّنته بالدهن ومشطته) وربطت في أطرافه من ألوان العهن (الصوف المصبوغ ألوانا)، فقال: ما هذا؟ فقلت: شيء أتملح به. فقال: يا حرسي قنعها بالسوط، قالت: فتناولت السوط بيدي وقلت: قاتلك الله ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن ابراهيم. سعد يجلد الناس في السماجة، وأنت تجلدهم في الملاحة، وقد قال الشاعر:

جلد العادل سعد ابن سلم في السماجة
فقضى الله لسعد من أمير كل حاجة

قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خل عنها. قالت: فكان يسوم بي، وكانت مولاتي تقول لا أبيعها إلا أن تهوى ذلك، وأقول لا أريد بأهلي بدلا»... (الأغاني، المجلد السادس ص 23 / 24).

ولعل السؤال الكبير الذي يتبادر إلى ذهن كل مسلم ذي عقل وذي عينين بعد قراءة هذه القصص الثلاث هو ماذا دهى العالم الإسلامي المعاصر حتى بات صوت من سمّاهم أبو الفرج في القصة الأولى بـ«البغضاء» أي الذين يتعاملون مع شؤون الدين وبالذات مع شأن المرأة بفظاظة وغلظة يطغى على صوت «ظرفاء» العبّاد الذين يتعاملون معها بلين ويسر؟

أفليس ذلك نوعا مما كان علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يسمّيه «التركاض في الضلالة والتجوال في الشقاق»؟!

محمّد إبراهيم الحصايري

عـن الـطاهر البكــري وكتابة الذات بلغة الآخر

الكتابة يد الحبّ في وجه الطغيان

أسندت الأكاديمية الفرنسية واحدة من أهمّ جوائزها للعام 2019 إلى الشاعر التونسي الطاهر البكري. هذه الجائزة تتوّج سنويا الكتاب الذين تميزوا بأعمال تساهم في إشعاع اللغة والأدب الفرنسيين وتسندها أعرق مؤسّسة أكاديمية فرنسية، أمّا الشاعر فتونسي مقيم بعاصمة الأنوار منذ منتصف السبعينات ويدرس الأدب العربي بجامعاتها، له في رصيده أكثر من ثلاثين مؤلّفا تتوزّع بين الشعر والنثر والدراسة الأدبية منها ما ترجم إلى لغات عدّة عبر العالم، ومنها ما هو موضوع للدراسة الأكاديمية. ويأتي هذا التتويج بعد أن تحصّل الطاهر البكري في العام 2018 على جائزة «بنجامين فوندان» الدولية للأدب الفرنكوفوني، التي تصف حيثياتها باختصار شديد مسيرته والمدى الذي بلغته تجربته في الكتابة والتثاقف، حين تنوّه بمساهمته «في الحوار بين المثقفين والكتاب من ضفّتي المتوسط، والتعريف بالأدب العربي في فرنسا وإثراء اللغة الفرنسية بمعان من التّراث العربي».

لكن المتأمّل في تجربة الطاهر البكري الأدبية عن كثب يدرك أنّها تتجاوز ذلك بكثير لتمثّل حالة إبداعية نموذجية، فهي وإن كانت تقع فعلا في نقطة تقاطع بين ثقافتين مختلفتين تعبّر عن إيمان صاحبها بأنّ الكتابة حــوار وتواصل وبناء في زمن التصادم، وأنّ الأدب صوت الإنســان ومحمل قيمــه الأساسيــة. وانطلاقا من ذلك يمثّل شعر الطاهر البكري صورة عن عصره وعن معاناة الإنســان الراهــن فيه، ففي ديــوانه الصادر العام 2018«صحراء في المغيب» و«شجرة توت حزينة في الربيع العربي» الصادر العام 2016، يكتب الشاعر مستحضرا التراث الأدبي العربي عن تحوّلات الإنسان الذي ثار ضد الظلم والهوان من أجل العزة والحرية وانتهى لاجئا مشرّدا، والشاعر لا يملك إزاء هذه التراجيديا إلا الشعر.

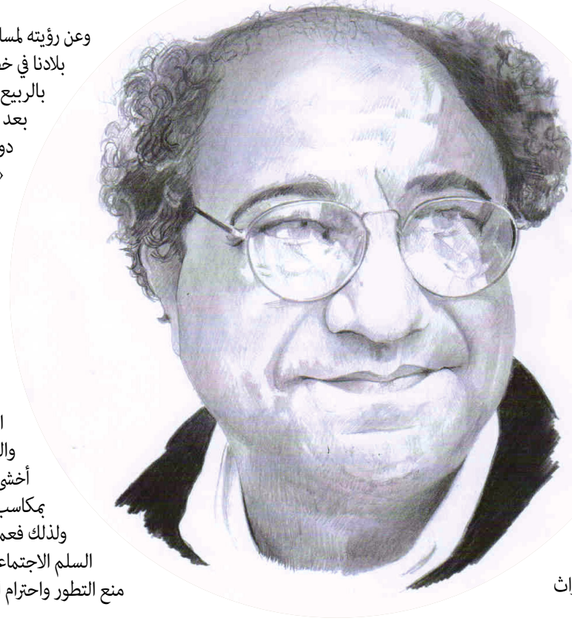

لا تنازل في الكتابة عن كرامة الإنسان وحريّته

في سؤال عن ماهية الكتابة وانشغالاتها الأساسية في عصرنا يقول الطاهر البكري لمجلة «ليدرز العربية»: «أحسّ دائما بثقل المسؤولية، وأعتبر الكتابة تعبيرا عميقا عن الكيان الذاتي والجماعي يتّحد بالرؤية الشاملة للإنسانية، لا تنازل فيها عن كرامة الإنسان أو حريّته. أخلاقية الكتابة تملي عليّ ضرورة الدفاع عن احترام الإنسان وقضاياه وقيمه الأساسية، بعيدا عن اللغو والتزمّت والتعصّب والتأزّم المفتعل، فأنا مع حبّ الإنسانية والحياة، ضدّ باعثي الموت والخراب».

وعن رؤيته لمسار التحوّلات التي تعيشها بلادنا في خضمّ ما يسمّى في الغرب بالربيع العربي يقول «نشرت بعد الثورة التونسية ثلاثة دواوين: «أسمّيك تونس»، «في حضرة يونس إمري» و«شجرة توت حزينة في الربيع العربي»، وكلّ هذه الكتب تسائل تونس وتحيّي مدنيتها وحريّتها. فرغم أسس الــدولة الحــديثة الراسخة يأتي الخوف مجتمعيا من القوى المحــافــظة العنيفة والتي تحاول التقدّم، وأنا أخشى على تونس من التلاعب بمكاسب الشعب سياسة ودينا، ولذلك فعماد الثقافة له أهميته في السلم الاجتماعية وصدّ الماضويين عن منع التطور واحترام الديمقراطية. الكلمة←

RadioMed
une vague de bonheur
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
GRAND TUNIS 93.5 FM
CAP BON GRAND TUNIS 104.1 FM
WWW.RADIOMEDTUNISIE.COM
Cité El Wafa Nabeul Jadida 800 Nabeul - Tunisie (+216) 72 328 500 (+216) 72 328 560
marketing@radiomedtunisie.com www.radiomedtunisie.com

في تونس حرّة وهذا كسب كبير، والمبدعون في تونس لم ينتظروا حلول الثورة ليولّدوا الربيع العربي، بل منذ عقود مضت كان لهم حضور شجاع ويقظ.

كتابة الشعر لا تمنعني من العقلانية ونقد الذات

يقول الطاهر البكري متحدّثا عن تجربته في سياق الردّ عن سؤال يتعلّق بالأدوار المنوطة بالكتّاب العرب الذين يقيمون في الغرب والذين تحملهم مجتمعاتهم عبء الحوار مع الآخر بلغته: «الانشداد إلى الواقع العربي يكاد يكون منبع كلّ كتاباتي وأحمل همومه كما تحملني تاريخا وحاضرا، وإلى جانب كتبي بالعربية مثل «قصائد إلى سلمى» و«مذكّرات الثلج والنار» تسمح لي اللغة الفرنسية بإعطاء صورة عن الإنسان العربي غير التي يروّجها الإعلام سلبيا ويعمل عمدا إلى طمس إنسانيتها حتى يمرّر مخططات جائرة، كتابة الشعر لا تمنعني من العقلانية والرؤية الفاحصة و التصوّر الصحيح للواقع و نقد الذات و النفور من النواقص المخزية و المحبطة».

ويرى البكري أنّ ازدواجية اللغة هي عامل إثراء حضاري تتيح للكتّاب أن يكونوا جسر تواصل بين الثقافات فيقول عن تجربته: «الكتابة باللغة الفرنسية لم تكن عندي يوما ما على حساب اللغة العربية أو الأدب العربي أو الثقافة العربية، ومن حسن حظّي فازدواجيتي اللغوية وهي من فضل التعليم التونسي تمكّنني من الحوار الجادّ والثريّ في معادلة متوازنة، دون خلل أو انغمار في الذات. وأعتبر أنّه من المهمّ أن يقرأك غيرك في لغته وأنت تنتمي إلى حضارة كبيرة وعريقة كالحضارة العربية والإسلامية. أن توصل صوتك بكلّ سلميّة وتحضّر يساعد غيرك على أن يفهمك».

من قصائد الطاهر البكري

إذا كان على الموسيقى أن تموت وكان الحب من عمل الشيطان
إذا كان جسمك سجنك وكان الصوت هو ما تعطي
إذا كان قلبك لحيتك وكانت الحقيقة حجابه
إذا كانت أغنيتك رصاصة وكان نشيدك رثاء
إذا كان صقرك غرابا وكان نظرك أخا للغراب
كيف لك أن تحب الشمس في الغار؟

بالتراث نساهم في حداثة الأدب العالمي

في تجربة الطاهر البكري الشعرية تيمتان بارزتان، التراث الذي يمثّل عماد الثقافة العربية وأساسها، والقضية الفلسطينية التي تحضر في الوجدان العربي الراهن عنوانا لأحد أبرز مآسي العصر الحديث، يقول الشاعر عن هذا: «لي دواوين على لسان إمرئ القيس «نشيد الملك الضلّيل» وابن حزم الأندلسي «مسابح الوصل» وأخيرا «صحراء في المغيب» ترجيعا للمعلّقات، وأنا أرى أنّ الكتابة التراثية داخل النصّ الفرنسي تحاول المساهمة في حداثة الأدب العالمي بإعطائه نفسا عربيا يحمل استعارة و مقارنة للواقع العربي

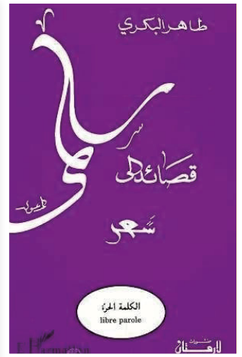

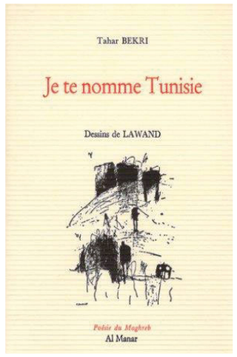

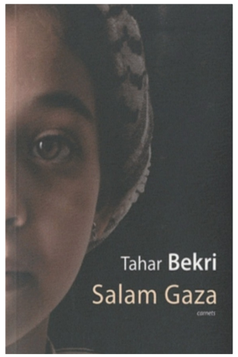

وكلّ الهواجس التي أعيشها اليوم. أمّا بخصوص القضية الفلسطينية فبعد رحلتي إلى فلسطين المحتلّة سنة 2009 نشرت كتاب «سلام غزّة» وهو يوميات ودفاتر تقف إلى جانب الشعب الفلسطيني، كما أصدرت أنطولوجيا بالفرنسية «شعر من فلسطين» لجيل ما بعد محمود درويش، كما ساهمت كذلك في العدد الخاص بمحمود درويش والذي أصدرته مجلّة «أوروب» الفرنسية. إنّ مأساة فلسطين تحتاج إلى أكثر من صوت وسند وهي في صميم الفكر والقلب وما الكتابة إلا قبضة يد مملوءة حُبًا في محيط عارم من الطغيان والبهتان.

عامر بوعزة

المسرح في المهرجانات الصّيفيّة حضور بالغياب

• بقلم فوزية بالحاج المزّي

تساؤل أصبح يرجع ليطرح نفسه عند اقتراب موعد المهرجانات الصّيفيّة: ما الذي جعل المسرح يغيب عن البرمجة في هذه المهرجانات؟

قد يبدو الجواب لأوّل وهلة بسيطا وبديهيّا: لأنّ المسرح لم يعد يستجلب الجمهور الذي يصبح في الصّيف، أميل إلى الحفلات الرّاقصة بل والصّاخبة التي ترفه عنه وتطرد كوابيس مشقّة الشّغل ومصاعب الحياة بمختلف أشكالها. إلاّ أنّه جواب سطحي ومراوغ للواقع وللأسباب العميقة التي تكمن وراء الظّاهرة. ظاهرة عزوف المبرمجين في المهرجانات عن العرض المسرحي. حتّى أنّ أغلبيّة مديري المهرجانات والفضاءات الثّقافيّة ومندوبي الثّقافة الجهويّين يتعمّدون عدم حضور العروض المسرحيّة التي تبرمجها وزارة الشّؤون الثّقافيّة وتوزّعها على المهرجانات والتّظاهرات بعنوان العروض المدعومة من قبل الدّولة والتي يمنحها القانون لكلّ هيكل إنتاج بنسبة تختلف حسب تصنيف العمل من خلال تقييم اللّجنة الوطنيّة لاقتناء العروض المسرحيّة.

وفي المقابل، يسارع المبرمجون إلى الاتّصال بمتعهّدي عروض الممثّل الواحد ذات الطّابع التّجاري الاستهلاكي وليس المسرحي، ليغدقوا عليهم كاشيهات شبه خياليّة حريصين على الانفراد ببرمجتها طمعا في تسجيل أرقام قياسيّة للحضور الجماهيري.وكأنّ الإقبال الجماهيري يمثّل، وحده وفي حدّ ذاته، مقياسا لجودة الإبداع ونجاحه. الجفوة الحاصلة بين المسرح والمهرجانات تتجاوز مسألة رغبات الجمهور. فهل يمكن الحديث عن جمهور مسرحيّ في تونس وننسب إليه تفضيلا لنوع من الإبداع دون ألوان أخرى؟

هل كوّنا للنّاشئة ذائقة مسرحيّة تتيح لها تمييز الغثّ من السّمين؟ بل هل إنّ مبدأ الرّجل المناسب في المكان المناسب ينطبق على مسؤولي التّظاهرات الذين ترجع إليهم البرمجة بالنّظر؟

حلقات عديدة تفكّكت منذ أن رفعت الدّولة يدها عن المسرح العمومي وتجاهلت مآلات المسرح الجهوي المحترف الذي تأسّس في السّتّينيّات بمجهودات نضاليّة من النّخب المثقّفة الأولى التي رافقت، مسرحيّا، بناء الدّولة الوطنيّة. وقد تمثّلت البدائل في بعث المسرح الوطني التّونسي في 1983، والذي أجهز على بقايا الفرق الجهويّة التي بدأ الوهن يدبّ في ثناياها، نتيجة اهتراء بناها التّحتيّة وافتقادها إلى قوانين أساسيّة تحكم تسييرها. فبعد إفراغ المسارح الجهويّة من طاقاتها الإبداعيّة واحتوائها في صلب المسرح الوطني التّونسي، وبعد تكاثر الهياكل المسرحيّة الخاصّة المتولّدة عن مجموعة المسرح الجديد التي بادرت بظاهرة المسرح الخاصّ، نقلات نوعيّة طرأت على المشهد المسرحي اخترقته خيارات جماليّة جديدة ومجموعة من المصطلحات الثّقافيّة النّاتجة عن العولمة: ثقافة السّوق والتّأهيل الشّامل ومواصفات الجودة وقابليّة التّصدير...وهي مصطلحات مستوحاة من المنظومة الاقتصاديّة. وبالتّالي فهي لا تنسجم بالضّرورة مع الاستثناء الثّقافي الذي استماتت الإدارة السّياسيّة الفرنسيّة وحدها في الحفاظ عليه، في حين فرّطت فيه ثقافتنا وأصبحت تتعامل مع المسرح وكذلك مع بقيّة التّعبيرات الفنّيّة بمنطق ورشات التّعليب والمواصفات «الإنسانويّة»، على حساب الذّات المحلّيّة وخصوصيّاتها.

فلا عجب اليوم أن يعزف الجمهور عن مسرح يبحث في عمق ذاته ويثير فيه الأسئلة الجوهريّة ويمتّعه بالضّحكة الواعية التي تحافظ على كرامته ولا تقوم على الاستهزاء والتّشهير بالآخر وازدراء الاختلاف. ولا عجب أن يقبل الجمهور على نوعيّة من الفرجة لا مكان فيها للمجهود ولا المعاناة إبداعيّة، بل هي تقوم على الارتجال السّاذج والكليشيهات والابتذال اللّغوي.

مقابل هذه الظّاهرة، شهدت السّاحة المسرحيّة في السّنتين الماضيتين وبالتّحديد منذ أوائل سنة 2018، توالد المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة بالجهات.

البادرة تطرح تساؤلات عديدة بل وتبعث على حيرة مردّها أساسا أنّ إحداث هذه المراكز لم تسبقها خطّة استراتيجيّة ولا تشخيص لصعوبات الحركة المسرحيّة في الجهات وحاجيّاتها الفعليّة ممّا يمكن أن يبرّر بعث هذه المراكز بوصفها الحلّ المنطقي والمناسب للاستجابة لهذه الحاجيّات. بالإضافة إلى ذلك وما يعمّق الشعور بالحيرة هو أنّ إحداث هذه المراكز لم يصاحبه تصوّر لمشاريع أعمالها وأهدافها ومقاصدها. بل إنّ كلّ ما صاحب هذه البادرة هو مدّ هائل من الجدل حول مشروعيّة التّسميات والخلفيّات الجهويّة التي تكمن وراءها.

ملفّ آخر ينضاف إلى المشهد المسرحي وغيمة أخرى تزيد في تلبّد المشهد وتوحي بتعقّده.

هذا الملفّ وما سبقه من الملفّات المطروحة على الإدارة الثّقافيّة الحاليّة، تحيل إلى الأسئلة التي أثارتها قضايا المهرجانات الدّوليّة والتّظاهرات الكبرى أو ما تسمّى بالتّظاهرات الثّقافيّة السّياديّة منذ ثلاث سنوات.

اعتبارات جهويّة، محاصصات نّقابيّة، استحقاقات إداريّة... هكذا يقرأ كثير من المتابعين للشّأن الثّقافي الخلفيّات التي يستند إليها توالد المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة وكذلك بعض من التّظاهرات المحدثة في السّنوات الأخيرة مثل معرض تونس الوطني للكتاب الذي يخلو من أيّ مدلول في وجود معرض تونس الدّولي للكتاب. مبادرات أخرى تستحقّ الوقوف عندها للتّقييم سنرجع إليها، ربّما، في مناسبات أخرى.

وهم البدائل الآنيّة لمشاكل عضويّة

فيما يتعلّق بالمراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة تبدو المسألة على قدر من الخطورة إذ أنّ تسيير الدّولة للمسرح في الجهات له تاريخ معقّد يبدو أنّ الإدارة الثّقافيّة الحاليّة لم تعتبر به ولم تستخلص منه الدّروس المناسبة. لقد مرّ المسرح بمرحلة دقيقة انطلاقا من مرحلة التّأسيس للمسرح المحترف أي منذ أواسط الخمسينيّات.

رافق عمليّة تكريس المسرح، اجتماعيّا، وإدماجه في المنظومة التّربويّة تكوينا وتنشيطا في المعاهد الثّانويّة، تركيز أجهزة رقابيّة متشدّدة حصرت المسرح في استراتيجيات المرافقة التّنمويّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة. ذلك هو المخطّط الخلفي لخطاب الرّئيس بورقيبة بتاريخ 7 نوفمبر 1967 والذي نسبت له مدلولات ثوريّة وحداثيّة في أحيان كثيرة لم تأخذ بالاعتبار سياقه الإيديولوجي.

تحوّلت مسالك البحث الإبداعي المسرحي من القطاع العامّ إلى القطاع الخاصّ، مع بعث أوّل فرقة مسرحيّة خاصّة، في 1975، هي فرقة المسرح الجديد. وتتالت التّجارب من خلال بروز فرق خاصّة في شكل شركات للإنتاج وهي شركات خاصّة ولكنّها تعتمد في إنتاجاتها على دعم الدّولة وهو دعم توفّره احتكاما إلى لجان استشاريّة مختصّة.

والمعلوم أنّ هذه الشّركات المنتجة لا تنفرد بها تونس العاصمة بل إنّها موجودة في أغلب المدن وحتّى في بعض الجهات النّائية.

بالنّظر إلى هذا المعطى، ينتفي معنى تكاثر المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة ليحيلنا إلى أولويّة تغافلت عنها الإدارة الثّقافيّة وهي وضع استراتيجيا تتعلّق بالتّركيز على الخصوصيّات الثّقافيّة الجهويّة في مشاريع هذه المراكز وتكليف مديريها وفقا لبرنامج تعاقدي لمدّة محدّدة تجرى في آخرها عمليّة تقييم يمكن تعديل العمل والتّصوّرات بعدها. هذه البرامج التّعاقديّة وحدها قادرة على عقلنة علاقة المهرجانات الدّوليّة والوطنيّة والمحلّيّة بالمسرح وترشيدها كما ستكون بمثابة المحضنة لتأسيس علاقة جديدة بين الجمهور والمسرح. موازاة لذلك، يبدو أنّ المصاعب التي يلاقيها المسرح في المهرجانات هي أيضا وليدة الإخلالات التي تتالى في مسالك التّوزيع ومنظومته بشكل عامّ. فالعرض المسرحي يحتاج إلى توزيع في ظروف احترافيّة لائقة كما يحتاج إلى الاحتفاء به من قبل منظّمي التّظاهرات والمسؤولين عن الفضاءات الثّقافيّة وهي ظروف تكاد تكون منعدمة في أغلب الأحيان.

كيف وصل الأمر إلى هذا التّعقيد؟ ربّما لأنّ إدارة الشّأن الثّقافي، وهي تحتاج في كلّ مرحلة، إلى وقفة تأمّل وتقييم، لم تقم بذلك وتناسته أو تجاهلته مكتفية بمعالجة المشاكل بنسق آني وظرفي. ولعلّ هذه المرحلة التي تمرّ بها البلاد وهي تصبو إلى الانتقال الدّيمقراطي السّياسي، هي في أشدّ الحاجة إلى إعادة ترتيب الشّأن الثّقافي بتفكير عضوي وليس بعقليّة إداريّة تقليديّة باحت بفشلها. ولعلّ أوكد الأولويّات أن تبادر الإدارة الثّقافيّة بتنظيم ندوة وطنيّة حول «الوعكة « التي تمرّ بها مختلف التّظاهرات الثّقافيّة كما تمرّ بها مختلف التّعبيرات الفنّيّة. كما أنّ الوقت قد يكون حان لإحداث مجلس أعلى للثّقافة حتّى لا تبقى الثّقافة شأنا إداريّا وتسترجع مداها الفكري والمصيري الحضاري.

ف.ب.م

«سامحني» مقاربة سينمائية تبحث في فلسفة الموت وتحاكي نبض الحياة

• بقلم د. ناظم الوسلاتي

طرحت السينما التونسية العديد من القضايا والمواضيع المعقّدة والحسّاسة في علاقة بالواقع الاجتماعي وبأبعاده الفكرية والنفسية والسلوكية. غير أنّ الشريط الروائي الأوّل والأخير للمخرجة الراحلة نجوى سلامة مثّل نقلة فنية مبتكرة وقدّم صورة جمالية محدّثة تشي بالتأمل العميق في المعتقدات والموروث الاجتماعي فيما يتعلّق بتصوّرات الفناء الإنساني ومدى تداعياته وتأثيره على سلوكيات الأفراد ومواقفهم.

تكن ظروف تصوير فيلم «سامحني» عادية، بل اقترنت باكتشاف مخرجة العمل لإصابتها بالمرض الخبيث وبداية رحلة العلاج في الخارج مع انطلاق التصوير، حيث كانت تسابق الزمن وتصارع المرض لتتمكّن من متابعة مرحلة ما بعد الإنتاج، في إصرار عنيد على مواجهة الموت المحقّق. الفيلم يشكّل دعوة إلى التأمل والتفكير الجوهري في الوجود المستمر للموت، حيث حاولت مخرجة العمل الغوص في أعماق الذات البشرية لترصد التناقضات التي تملأها وتوغل في سبر ورسم تداخلات المشاعر الانسانية بحالاتها المختلفة والمتقلّبة، لشخوص لا تمثّل ذواتها المنفردة بقدر ما تمثّل فئات وتيارات وتوجّهات لا يخلو منها أيّ مجتمع.

تدور أحداث الفيلم حول صراع ذاتي ومتناقض بين شخصيتين رئيسيتين، هما «فوزي» القاضي المرتشي الذي جسّد دوره باقتدار الممثل «محمد علي بن جمعة» و«مستاري» الفنان والباحث في علم الآثار والتاريخ الذي جسّد دوره النجم السوري «عابد فهد»، هذا الممثّل الذي تعرّض إلى مظلمة قضائية واتّهم زوراً وبهتاناً بتهريب الآثار ليقضي بعدها عشر سنوات كاملة بالسجن. وفي سياق الأحداث شاءت الأقدار أن يتقاطع مصير الشخصيتين من جديد، إثر تشخيص طبّي خاطئ اختلطت على إثره الملفّات الطبية، ليتّضح من خلاله أنّ مستاري هو المصاب بداء السرطان في المرحلة الأخيرة وليس القاضي الذي زجّ به حيفا وزورا في السجن. وبعد أن باتت أيّامه معدودة ينهمك مستاري في التحضير لجنازته ومدفنه على طريقته الخاصّة، بينما يمضي القاضي في مطاردته طلبا للصفح والعفو، بعد صحوة ضميره.

بقيّة الأدوار الأخرى شكّلت سندا حقيقيا للشخصيتين الرئيسيتين وساعدت في بناء السرد وتطوير الأحداث، كما لعبت دورا مهمّا في زيادة حدّة الصراع النفسي الداخلي بين الشخصيات المحورية وخاصّة كلّ من «سوسن معالج» في دور خليلة القاضي فوزي وزوجته المتنفّذة «مريم بن حسين»، بالإضافة إلى «رياض حامد» الصديق الوفي لمستاري.

مخرجة العمل تعمّدت أن تفرد الشخصيتين المحوريتين في الفيلم بعـــدد كبير من المشاهد وحوّلت الكاميرا من وسيلة تسجيل وتوثيق إلى وسيلة رصد ومراقبة لمسار كلّ شخصية على حدة في حركة مستمرّة تقود البناء الدرامي نحو ذروة الأحداث، عاكسة حالة الصراع والتناقض الداخلي في أوج الانكسار النفسي للشخصيتين التي تجمّلها الأحداث تتأرجح بين أقصى مشاعر الحزن والسعادة و الغضب والحب واليأس والأمل... وذلك في دليل واضح على صعوبة التقاطع والالتقاء فيما بينها، نظرا لتباين النزاعات الداخلية لكل شخصية، حيث يدخل القاضي في صراع حادّ مع ضميره طيلة الفيلم ويسعى جاهدا إلى التكفير عن غلطته بعد أن طغى الطمع والجشع على سلوكه ودفع به لاقتراف جريمة في حقّ متّهم بريء كان قد أصدر حكما جائرا ضده. أما مستاري فقد كان مشغولا بصراع من نوع آخر، صراع الوجود والعدم، ورفضه القطعي لهاجس الموت الذي يلازمنا طيلة رحلة الحياة لينهمك في إعداد مراسم دفنه بطريقة غريبة وغير معهودة (تزويق مدفنه، انتقاء مكان وتصميم الضريح، حجز فرقة سمفونية ليوم الدفن الخ) بعيدا عن أجواء اليأس والإحباط ورافضا لجميع الطقوس والمعتقدات التقليدية، إيمانا منه بأنّ الموت ما هو إلاّ وجه آخر من وجوه الحياة.

من خلال صراع الشخصيتين تنجلي ثنائية الموت والحياة في الفيلم، لنكتشف عمق الجدلية بين هذين المفهومين وتداعياتها على النفس البشرية لحظة المكاشفة والمحاسبة باعتبارها لحظة مفصلية في حياة الإنسان، وكأنّ مخرجة العمل أرادت أن تبحث في لعبة الحياة والموت دون أن تقع في فخّ روحي وأخلاقي ديني يغذّي الصورة النمطية عن فكرة الموت وما وراء الموت من الأهوال والحساب.

وفي جزء من قراءة تأويلية للمعنى داخل الفيلم، نستشفّ نقدا لاذعا للأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي آلت إليها الظروف المعيشية في البلاد، في توصيف واضح لواقع تدهور قطاع الصحّة وجودة الخدمات الطبية وعدم تقديم الإحاطة النفسية اللازمة لمرضى السرطان خلال فترة العلاج، بالإضافة إلى التسلّط والفساد المستشري ضمن مفاصل الدولة ومؤسّساتها، دون أن تنسى مخرجة العمل التعريج على وضعية المثقف والفنان الذي يعاني في صمت من التهميش والاغتراب.

فيلم «سامحني» يقدّم رؤية سينمائية ذات لمسة إنسانية درامية تأملية مفعمة بالشاعرية، للتعبير عن هواجس الإنسان ومخاوفه الوجودية، والمنتقدة لخواء الروح وعمى البصيرة الإنسانية واستغلاق القلوب وظلام النفس نتيجة اليأس الذي يقبع كضيف لحوح خلف أسوار نفوسنا وعقولنا، وفي نفس الوقت دعوة صريحة من المخرجة الراحلة إلى الاحتفاء بالوجود الذي سيقودنا حتما إلى النهاية نفسها مهما اختلفت مساراتنا وتعدّدت خياراتنا. فيلم الوداع كما أرادته الفقيدة، هو دعوة دائمة إلى الثبات والصمود وعدم الاستسلام للفشل أو اليأس والإحباط ورسالة خالدة مفادها أنّ الإقرار بحقيقة فنائنا ضرورة حتمية وأنّ الحياة هي مجرّد محطة عبور نحو الخلود، ولأنّ إنكار الموت، إنما هو إنكار للحياة.

تحية إلى روح المخرجة نجوى سلامة

ن.و.

ولادات السّياسة الحديثة

مكيافليّ / هوبس / روسّو

لبيار مانون، ترجمة محمّد كرّاي العويشاوي

صدر مؤخّرا عن المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» كتاب جديد في الفلسفة السّياسيّة يحمل عنوان «ولادات السّياسة الحديثة مكيافلّي / هوبس / روسّو»، وهو ترجمة أنجزها الأستاذ محمّد كرّاي العويشاوي أستاذ الفلسفة بالمعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بتونس(جامعة تونس المنار) لكتاب Naissances de la politique moderne , Machiavel , Hobbes , Rousseau لأستاذ الفلسفة بالجامعات الفرنسيّة بيار مانون Pierre Manent .

ويندرج الكتاب ضمن الدّراسات المهتمّة بتاريخ الفلسفة السّياسيّة إذ يعرض أبرز مراحل الفكر السّياسيّ الحديث بالاشتغال على ثلاثة من كبار مؤسّسيه وهم على التّوالي : الإيطالي نيكولا مكيافلّي (1469 – 1527) والأنقليزي توماس هوبس (1588 – 1679) والسويسري الفرنسي جان جاك روسّو (1712 - 1778).

وسيشترك هؤلاء المفكّرون الثّلاثة في اهتمامهم بالمسألة السّياسيّة وفي تدبّرهم لنشأتها من وجهات نظر مختلفة.

أمّا نيكولا مكيافيلّي فهو يُعدّ المفكّر الذّي وضع حدّا للفلسفة السّياسيّة التّقليديّة عبر إرساء النّزعة الواقعيّة باعتبارها أساسا للفكر السّياسيّ الحديث ، وتقوم هذه النّزعة على تجاوز الفصل التّقليديّ بين العقل والواقع. فهو يعتبر أنّ واقع البشر تحكمه ضرورة ، وليس ما يأتيه البشر في الواقع سوى امتداد لهذه الضّرورة. ومن هذا المنطلق يُعدّ مكيافيلي أب الملاحظة العلميّة للسّياسة.

وهو أوّل من دعا إلى «أخلقة الضّرورة» بمعنى أن يتلاءم الفاعل السّياسيّ مع الضّرورة بحيث يُطيعها ويُطوّعها.

وأمّا توماس هوبس فسيأتي بعد قرن من مكيافيلي ليواصل منزعه الواقعيّ ويُطوّره ، فقد جذّر فكرة «الضّرورة» التّي مهّد لها مكيافيلي وبشّر بقدرة الكفاءة على تطويعها ، وسيتجلّى مسار تجذّر الضّرورة عبر جعلها ملازمة للواقع ذاته، وعبر تحويلها من الخارج إلى الدّاخل إذ يرى هوبس أنّها تنبع من الوجود الإنسانيّ ذاته .

وينتهي هوبس إلى تعريف السّياسة بأنّها علم الطّاعة ، وهو علم يمليه العقل ويدفع كلّ فرد إلى البحث عن السّلام بكلّ السّبل، وليست الدّولة عنده سوى اصطناع مهمّتّه المركزيّة هي حفظ البقاء عبر إرساء شروط السّلام ، وهو ما حدا بالمؤلّف إلى استنتاج أنّ مكيافيلي هو منظّر الفعل السّياسيّ أمّا هوبس فإنّه منظّر المؤسّسة.

وبخلاف فلسفة مكيافيلي وهوبس تندرج فلسفة روسّو السّياسيّة ضمن التّقليد الطّوباوي الذّي يقوم على نزعة «تقديس الحقّ». ويرى المؤلّف من خلال استقراء آثار روسّو أنّ صاحب «العقد الاجتماعيّ» ولّد السّياسة من جديد من رحم الأخلاق وأعاد النّظر في علاقة السّياسة بالإيطيقا لكي يُقيم الأولى على أنقاض الثّانية فذاك الحلّ عنده لتجاوز ما سمّاه انحلال الإنسان الحديث وفساده، ذلك أنّ روسّو يردّ أزمة الإنسان الحديث إلى سيطرة المصلحة على العلاقات الإنسانيّة، وقد أجمل ذلك في قوله : «لقد كان السّاسة قديما يتحدّثون دوما عن الأخلاق والفضيلة في حين لا يتحدّث ساستنا سوى عن التّجارة والمال».

والمحصّل أنّ كتاب «مانون» مدخل بالغ الأهميّة في فهم مرتكزات الفكر السّياسيّ الحديث والإحاطة بالاتّجاهات الأساسيّة التّي ستُكيّف مناهج ذاك الفكر وآليّاته.

ح.د.

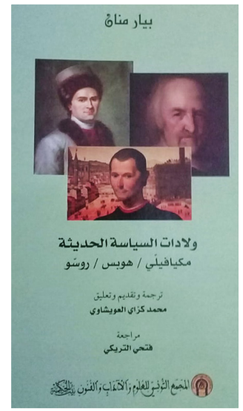

بطاقة

بقلم الصحبي الوهايبي

طـوم وجيـري

امرأة

تتوجّع عند طبيب الأسنان، جاءت تخلع ضرسا مسوّسا؛ فلمّا أنهى الطّبيب عمله، حشرت إصبعها في فمها، تتحسّس المكان، ثمّ صاحت: «ما هذا الذي فعلتَ يا دكتور؟ لقد خلعتَ ضرسين اثنين سليمين، وتركتَ الضّرس المريض!»؛ والطّبيب يهوّن: «أوه! على مهلك، لا تجزعي أيّتها السّيّدة، إنّنا نقترب منه!»... بَاتَ الوطن بلا أنياب ولا أضراس؛ ولكن، هوّنوا عليكم! الحكومة تقترب من الضّرس المسوّس!... والسّوس هو العثّ، وواحدته سوسة؛ ومعاذ الله أن نقصد بذلك تلك المدينة التي تبقى أحلى المدن التّونسية وأجملَها، ولو أنّ كثيرا من تلك المدن قد خبا بريقها وذهبَ ألَقُها، لسياسات عمرانيّة هي أشبه بالسكّين الحافي في خدّ الوردة. ومن المعروف أنّ أكثر العثّ أعمى، يكره النّـور؛ ولعلّه لا يـريد أن يرى الخراب الذي يخلّفه وراءه؛ كذلك لا ينظر كثير من الحـكّام وراءهم، ولعلّهم مثل العثّ، لا يسمعون إلاّ رَجْعَ الصّـوت في الخشب المجوّف... والسّوسـة تعني أيضا نباتا عشبيّا مخشـوشبا يُصنع منه شراب عرق السّـوس؛ ولكن عرقَ السُّوس لا يُسـكِر وشرابَ السّياسة مُسكِـر... وأمّا السَّوَسُ فهو داء يأخذ الدّابـة في قوائمها أو يكون في عَجُزِها بين الورك والفخذ فيورث ضعـف الرِّجْل حتّى تخور؛ وكذلك يفعل العثّ في كلّ قاعدة سيـاسيّة، كلّما هرمتْ، نخرها، حتّى تصير كالعمـلاق على رِجْلين من صلصال؛ هل ترون ذلك العملاق الواقف على رِجْلين من صلصـال؟... ويقال سَوِسَ الحَبُّ أو ساس أي وقع فيه ما يأكلـه وينخـره فلا يَنبتُ ولا يُنبتُ أبدا؛ كهذا الحَبّ الذي يبذرون.

*****

كتـب سيـاسيّ فخور بإنجـازات بـلاده: «إنّ بلادي تقرع بعنف باب الانتماء إلى نادي الدّول المتقدّمة». حتّى المتسوّلين والمحتاجين وعابري السّبيل يقرعون الأبواب. الثّابت الذي يجهله الرّجل أو يتجاهله أنّ ذلك الباب لن يُفتح «على هذه الرنّة» فتلك أبواب لا تُفتح منّة أو بإذن ولكنّها تُغتصب اغتصابا وتُقتحم اقتحاما... والأبواب أنواع وأصناف؛ فهناك باب البيت لأهـل البيت، وباب الله للمساكين والمحتاجين، وباب العرش للمقرّبين والأولياء وأصحاب الحظوة، وباب السّجن، وباب النِّقاش وهو لا يُفتح إلاّ لِيُغلق؛ وهناك باب المفاوضات وهو عادة يُغلق قبل أن تبدأ؛ وهناك سياسة الباب المفتوح، وسياسة الباب المغلق؛ وهناك باب بمفتاح وباب بدون مفتاح لبيت مستباح؛ وهناك الباب الذي سِيَان أغلقتَ أم فتحتَ، كحال ذلك السّجين الذي وجد باب السّجن مفتوحا دون حارس أو رقيب فلم يهرب وظلّ قابعا في مكانه فلمّا سأله الحارس: «لماذا لم تهرب وقد كان الباب أمامك مفتوحا على مصراعيه؟» أجاب: «إلى أين أهرب؟ من سجني الصّغير إلى سجن أكبر؟»؛ وهناك الباب المخلوع والباب الخاطئ؛ وأخشى ما أخشى أن تكون بلادك يا سيّدي تقرع الباب الخاطئ فتفعل مثل ذلك السّكّير الذي سأل زوجته: «ماذا فعلتِ يا امرأة بباب المرحاض؟ كلّما فتحتـه أتبوّل اشتعل الضّوء» فزعقـت المـرأة: «يا للهول. كنت إذن تتبوّل في الثلاّجة»... وكُلُّ باب يفصل بين عالمين اثنين متباعدين متنافرين ويفضي إلى اتّجاهين مختلفين؟ فأنت تفتح الباب لتدخل أو لتخرج وهما فعلان مختلفان كلّ الاختلاف. فتثبّتْ، ثبّتَ الله أجرك من أيّ جهة تقرعُ بلادُك البابَ بكلّ عنف، كما تقول... تعبتْ حكـومتنا مـن طـرق الأبواب، فلا تحمّلوها ما لا طاقة لها به ولا تقسوْا عليها كما قسـت أمّ جحا على ابنها وكانا ينتقلان من دار إلى دار فحمّلته عفشها ونفشها وما زالت تكدّس على ظهره وهو بارك على ركبتيه حتّى قالـت: «لم يبق غير هذه الرّحى. سأحملها عنك». فقال لها: «لا. بل ضعيها على ظهري يا أمّي فأنا قاعد بارك لن أقوم بها أو بدونها». كذلك الحكومة باركة كاركة بك أو بدونك... سياسة السّلطة هناك مثل الذي يحاول أن يُطعّم شجرة زقّوم بعـود برتقال؛ فهل رأيت شجـرة زقّوم تثمر برتقالا؟ أو كمن يحـاول أن يناسل بـين أسد ودجـاجة؛ فهـل رأيت دجاجة تفرّخ أسودا؟ اللّهم إلاّ في هـذه البلاد، بـلاد كلّ عجيـب وغريب. كثيرة هي الهِرة التي تحكي صولات الأسود مثل القطّ «طوم»... هـل مـازلت تتذكّر القطّ «طوم»؟ كبر «طوم» و«علّـق الصبّاط»، كما تقـولون...لم يعـد هنـاك إلاّ الفأر «جيري. وحده بقـي يرتع في السّاحة.

ص.و.